مورفيوس

رواية

محمد شعبان

داركتاب للنشر والتوزيع



مسئول النشر

طارق رمضان

مدير التوزيع

عمر عبد السميع

مدير العلاقات

مها عادل

الطبعة الأولى

الكتاب : مدينة مورفيوس

تأليف : محمد شعبان

تصنيف الكتاب : رواية

مصمم الغلاف : عبد الرحمن سندوبى

إخراج : أحمد عبد الرحمن

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٠٤٠٤ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 6 - 26 - 9597 - 977 - 978

العنوان : ٤٧ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر

التليفون : ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

Email : darkitabone@gmail.com

فى الأعلى كان دائريًا، نحاسيًا، متوهجًا، أو ظنه كذلك

رأى ضـوءًا شـحيحًا ينفـذ مـن النافـذة إلى داخـل الغرفـة فارتجف، نهض مسرعـا ووقـف يرقـب المشـهد مشـدوها مـن اللوحـه .. لم تكتمـل اللوحـه بعـد .

القمـر تـرك قمـة الجبـل ولم يعتـلى المئذنـة إلى الآن، لحظـات مـن التفكـير والدهشـة وسـوف يكتمـل كل شي .

أيـن القلـم؟ .. بحـث عـن القلـم وانتظـر حتـى اكتـمال اللوحـة لتدويـن مـا سـيراه، إنـه التدويـن رقـم مئـة .. لا يهـم

هـا هـي اللوحـه تكتمـل .. لقـد أعتـلى القمـر المئذنـة تـاركا أسـفله قمـة الجبـل البعيـدة فأصبـح عموديا عـلى اللوحـه المعلقة عـلى الحائـط . إن الأمـر مهيبـا، لقـد رسـم المشـهد كـما ارتسـم عـلى النافـذة الآن، فأصبحـت هنـاك لوحتـان في وقـت واحـد

فى البنايـة المقابلـة تشـتعل إضـاءة غرفـه مـا، لقـد عـادت إذن دوّن في الورقـه الميعـاد ووقـف ينتظـر فتـح النافـذة .. لم تفتـح .. ولـن تفتـح .. لا يهـم،

كان دائريًـا .. نحاسـيًا .. متوهجًـا .. حتـى ذلك الشـيئ تركه

وذهـب بعيـدا، عـاد إلى الخلـف بخطـوات متثاقلة .. لاشـيئ سـوى الوحـده تنتظـره، ومجموعـه مـن ألـوان الزيـت موضوعة

علـى سـطح مكتـب عتيـق تداعـت أقدامـه، وبعـض مـن الصـور هـي الرفيـق الأبـدي لوحدتـه، بالطبـع أولهـم دافنـشي ثـم جيفـارا .. صـوره أخـرى لحليـم، لا أعلـم لمـاذا هـذه الشـخصيات بالتحديـد، ولكـن هـو فى الثلاثـين مـن عمـره .. وأظـن أن هـذه الصـور لائقـه بـه .

الحيـاه مضنيـه ومتابعتهـا مـن النافـذه أضنـي بكثـير، عليـك أن تنتظـر ظهـور القمـر ومتابعـة لوحتـك المشـابهه لـه، وعليـك أن تختـار فتـاة لتراقبهـا مـن نافذتـك، لا يهـم إن لم تفتـح نافذتهـا منـذ عـشرة أعـوام عندمـا كانـت في سـن المراهقـه .

أنـت تنتظـر القمـر فترقـب النافـذه فى تهيـب، لتتابـع لوحتـك بنهـم يزيـد كلـما مـرت الأيـام، عندمـا يـتركك تركـض إلى نافذتهـا لعـل وعسـى يحـدث شـيئ، ماهـي إلا دقائـق حتـى تكتشـف مـن جديـد أنـك وحيـد، وأن الصمـت الـذي أطبـق عـلى الغرفـة طـوال النهـار سـيظل رفيقـك في الليـل أيضـا

مـا الجديـد فى حياتـك إذا .. لقـد اسـتتب الليـل مجـددا وسـكنت الأرواح الطرقـات .. وجـاءت إليـك لتداعـب وحدتـك

***

وحشة الليل تفيض الضلوع .. لابد من لفافة تبغ ليهدأ بها من روعه، « شلاك شليك « كان هذا صوت القدّاحة وهي تشتعل فى الظلام، فترى سحباً بيضاء تتصاعد لأعلى، تتبخر أولا أمام عينيه ثم تنسحب من النافذه حيث الفراغ

يقبض على لفافة التبغ بين أصبعيه فيراقبها وهي تتلاشى هي ليست الحل .. يعلم ذلك يقينا .

انتهت .. وانتهى من مراقبة طبقات الدخان المتراكمه في الغرفه، تتسحب تدريجيا من النافذه إلى الفضاء فى بطئ

حيث النجوم .. والقمر المبتعد .. والنافذه المغلقه دائما.. ترسم فى طريقها وجه الفتاه .. عيناها العسليتان تلتمعان بحزن، وحاجبين يبثان فيك الدفئ والوطن .

– إنها النهايه، نهاية الكون، أو نهايتنا نحن كوطن

صمت يخيم على أرجاء المكان .. يحاول عقله أن يتذكر المشهد كاملا للمرة المليون

– أورثتك مكانه اجتماعية، ومنزلا منعزلا عنا تماما لتعش راهباً عني وعن والدتك .. وفى النهاية ... !!

– إنها النهايه، نهاية الكون.....

اللكمـة كانـت قويـة .. بحيـث تفصـد مـن أنفـه خيـط دم رفيـع، وعينـاه تروحا وتجيـئ في الغرفـه فى محاوله لفهـم ما حدث

فتح درج المكتب وتناول قرصاً وراح يتذكر باقي المشهد

اللكمة كانت مؤلمه فانزلقت الكلمات راجفة :

- لقد قتلت أختي

لم يجسر الرجـل قـط عـلى الحديـث لدقيقتـان، اقـترب منـه أكثـر وراح يـبرر مـا قالـه الفتـى :

- أختك لم تمت بسبب العقار المخدر .. إنها....

- اخـرج أيهـا الوغـد، إنهـا النهايـه .. نهايـة الكـون .. أو نهايتنـا نحـن كوطـن

آفـاق مـن ذكرياتـه ففتـح الـدرج مـرة أخـرى وابتلـع قرصـا آ خر

لحظات وهدأت العاصفه بداخله .

أشـعل لفافـة تبـغ مـرة أخـرى فجاءتـه الذكريـات مـع السـحب البيضـاء الصاعـده لأعـلى .. وبـدأ في النحيـب

***

الحريه عندما علت فكرتها سادت التضحيات، وتبددت شعوب
من أجل شعوب أخرى، الحريه تعني الموت .

***

كـن يبكين بصـوت واهـن .. والهمهـمات صارت مسـموعه .

– لقد قُتلت

– تركتهـا ابنتهـا وذهبـت إلى العمـل، وعندمـا عـادت فى تمـام التاسعة ......

كن يبكين بصوت واهن عندما دق جرس الباب :

– .....؟

– رفعـت الفـار، المحقـق فى القضيـه، بلغنـي أن أتحفـظ عـلى الجثـه لحـين تشريحهـا

– أمي لم تُقتل، ولن تذهب إلى المستشفى

– حسـنا ! لنذهـب يا رفـاق .. عليـك أن تحتفظين بشـهادتك هـذه، ربـما تحتاجينهـا فيـما بعد

أغلقـت البـاب بقـوه وعـادت تشـارك النسـاء نشـيجهن المعتـاد، يسـكبن المـاء الدافـئ عـلى الجسـد المسـجى بـلا حـراك، المشـهد المألـوف كالعـاده .. هنـاك تلفـاز .. والصـوت يعلـو وينخفـض مـع همهـمات النسـاء

«يا أيتها النفس المطمئنة» كانت تتردد في الجنبات .

الحين حين عظه .. وتجلي للواحد القهار، إنه الموت الذي يطلق ضحكاته الظافره، نم فى أمان .. ومن يدري ؟

علَّ الحشد يصل بك سريعا وأنت على محفه من الخشب تتأمل فى ورع .. وجوه تهاب رؤيتك بعد ساعة واحدة من تركك وحيدا .

ولكن التأمل لا يدوم .. لتعش التجربه بنفسك .

«يا أيتها النفس المطمئنه» سمعها الحشد من رجل جهوري الصوت، «ارجعي إلى ربك راضية مرضيه».

النحيب يزداد بعد أن مالوا بها ووسدوها الرمال، «وادخلي فى عبادي وادخلي جنتي» . ثم أهالوا على الجسد التراب .

الليل لا يذكرك أبدا بالحريه، إنها الفاجعه المستوطنه بين ثنايا عقلك، لعلك كنت بخير منذ ساعات .. وأنت تتجول فى الطرقات وأنت تتابع قرص الشمس وهو يتجول فى الأفق، يحارب غيوم فبراير اللعينه .. لينفذ لك بشعاعات الدفئ من حين لآخر .

أنت كنت بخير عندما كان الموت بعيدا جدا، وقرص الشمس يسير وسط الحشد فتشعر بالقوه .. والأمان، ولكنه مال حتى اختفى، وتوارى وراء الجبال، وجاء الليل الذي يذكرك بالموت، أبدا لن تشعر بالحرية .

الشمس تبدد مخاوف الليل، وعليك أن تنتظر قرص الشمس مرة أخرى، بينما الموت يطلق ضحكاته الظافره .

***

فى مبنى النيابه العامه استدعوها بعد يومين لإجراء الروتين المعتاد، جلست ترقب رفعت وهو ينفث الدخان قرب النافذة ما إن انتهى حتى جلس أمامها مباشرة، سحب نفسا عميقا وبعدها قال :

- هل تتهمين أحدا

- لا

شفتان منمقتان يعتليهما شارب كث وعينان نافذتان تشعان مكرا، خط الشيب فى خصلات من شعره وشاربه، له نظرة ثاقبة تؤدي بك إلى الخوف :

- إنك تختصرين الموقف يا سيدتي، ولو كنا نجلس فى مكان عام لقلت إنك تنتوين على أخذ منحدرا آخر، فمن واجبي أن أحذرك، ونحن هنا لمساعدتك.

- أشكرك، هلا سمحت لي بالانصراف

أشار لها بيده فغادرت المكان

- أرجوكم كفوا عن مضايقتي لأنني أنثي، لكم تمنيت أن أمحي هذا الاسم من ذاكرتي

خرجت الكلمات مقتضبه من وجه يكسوه مسحه صفراء، وعينان عسليتان اغرورقتا بالدموع، مع حاجبان كثيفان يبثان فيك الدفئ والوطن، رأت على وجوههم الدهشة والذهول .. تقدمت بعد أن أغلقت باب الشقه ثم أزاحت بقدمها زجاجة مياه فارغة قد اعترضت طريقها .

- آسيا

قالها محمود سامح البنهاوي فى ذهول بعد أن عاد وكررها من فرط الدهشة .

ثلاثة من الشباب يمتلكون جريده الكترونيه تبث أفكارها عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي .

قالت نشوى فى تياسه بعد أن حركت القدم اليمنى فأصبحت فوق اليسرى :

- الحزن .. لا شيئ سوى الحزن، لقد قتلت والدتك وملامحك تبشر بالغضب

حركت القدم اليمنى مره أخرى وأعادتها إلى موضعها القديم ثم أردفت :

- الانتقام إذا .

- تمهلي يا نشوى، الفتاه مرهقة، الغريب في الأمر أنها أتت فى وقت عصيب بعد وفاة والدتها مباشرة

قالها محمود وهو ثالث المجموعة، شاب أخرق ذو ملامح شيطانية، عيناه خارقتان شديدتا النفاذ والتأثير، لا يجيد شيئا فى حياته سوى اللعب فى ذقنه النصف ناميه بطريقة غامضة، يستمتع بسماع خرفشتها بين أصابعه من حين لآخر .

يُدعى محمود سامح البنهاوي .. نظرته المرعبه لا تخيف آسيا ونشوى فكلتاهما يمتلكان ملامح مشابهة .

حسنا ! يمكننا وصفهم بالأوغاد، لقد تدفق الثلج فى أوردتهم فتوقفت عن العمل، يرون الحياه من منظور البلهاء الذين يمتلكون القياده .

لقد قرأوا .. قرأوا كثيرا جدا ولعل قد حان الوقت ليصارحوا الجميع بما قرأوه، الشقه مليئة بالكتب والأوراق وزجاجات المياه الفارغه . نشوى كانت جميله حقا، شعرها الذهبي كان مشعثا ثائرا كقضيتها التي تؤمن بها، تمتلك عينان زرقاوتان تحسبهما جواهر خالده، أسلوب حياتها

الدراماتيكــي يشــعرك بالأمــان تجـاه أمثالهــا، يرتســم عــلى وجههـا عـدم الاكـتراث .. هادئـة لا تنزعـج أبـدا مـن هدوئهـا، بالطبـع سـتخبرك ماهـي « السـاتياغراها « لـو اختـبرت ذكاءهـا وسـألتها عـن غانـدي .

صدقنـي بعيـدا عـن أنهـم أوغـاد حقـا .. هـم يعلمـون الكثـير، ويسـتحقون القيـاده فى يـوم مـا

– أرجوكـم كفـوا عـن مضايقتـي لأننـي أنثـي، لكـم تمنيـت أن أمحـي هـذا الاسـم مـن ذاكـرتي

– آسيا !!

قالهـا محمـود فى ذهـول بعـد أن عـاد وكررهـا مـن فـرط الدهشــة .

فقاطعته نشوى ممتعضه :

–الحـزن .. لا شـيئ سـوى الحـزن، لقـد قتلـت والدتـك وملامحـك تبـشر بالغضــب

لحظات من عدم الاستيعاب ثم أردفت :

–الانتقام إذا

- تمهلي يا نشوى، الفتاه مرهقة، الغريب في الأمر أنها أتت في وقت عصيب بعد وفاة والدتها مباشرة

حدقت بهم بعد أن أزاحت الدموع بظهر كفها الأيسر، جلست على المقعد الفارغ وصرخت في غضب :

- كدت أن أقتل سائق التاكسي، يعاملوننا كآلة لا تنتج سوى المتعه، تبا لقذارتهم

قالت نشوى فى محاوله لتهدئتها :

- اهدأي يا آسيا، أنت تعلمين ....

قاطعتها مزدجرة وقالت فى اضطراب :

- وهل يعلم هو ما أمر به .. أنا أختنق .. أموت تدريجيا، وهو ينظر لي من مرآته الحقيرة بتمعن، يتفحص جسدي

كأنني غانية، كدت أن أغرس لفافة التبغ الخاصه به في عيني هذا الأخرق ضمتها نشوى برفق وقالت :

- إننا نشرب من الوحل نفسه كل يوم، والبذره قد نمت وترعرعت وانتشرت بعنف، ولو اقتلعتها لبدت وطنا كاملا فلا فائدة .. ولا جدوى سوى عدم الاكتراث

محمـود عـاش معاناتهـما عـن قـرب فقـرر عـدم التحـدث في الأمـر مطلقـا، سـوف تجيـئ اللحظـه التـي يتحـدث معهـا عـن أمـرا مماثـلا، يريدهـا وبقوه .. يريدها كسـائق التاكـسي ولكن بعد موافقتهـا بالطبـع، لا يهـم .. إن الأمـر المشـترك هنا هـي الرغبه .

مهـما بـدت لـك يـا آسـيا ذكيـا .. سـوف تكتشـفين عكـس هـذا، فى اللحظـه التـي يضـج فيهـا الأنـين .. وتكتمـل الرغبة .. وينتهـي حديثنـا عـن الكتـب، وعـن مقت سـائق التاكسي سـويا

وعـن جيفـارا الإنسـان الملهـم، وعن المسـيح والعـذراء النقية .. وعـن الفضيلـة .. والوطـن العـاري مـن الرحمـه والمضجـج بالقســوه، ســوف أظهــر أنــا يــا آســيا لأفســد كل شــيئ .

- ماذا فعلت عند رفعت الفار

قالها محمود فتثاوبت آسيا فى ملل وأجابت :

- إنـه مريـب، عينـاه تخبئـان الكثـير، لقـد نجحـت في إقناعـه بعـدم اكتراثـي بمقتـل والـدتي

- أراك حقا هكذا

خرجت من محمود وهو يتفحصها بتمعن ودهاء فأجابت شارده :

- أرى أن الموت واجب لكل مختل يلعق الحياه كأنها شريط مخدر، فلتذهبين إلى الجحيم يا أمي، لم أرَ السعاده قط في حياتي معك

صاحت نشوى راجفة :

- مدمنة !! .. تقصدين إنها ....

- نعم .. أمي كانت مدمنه، كانت تبتلع الأقراص كل ساعة، بل كل دقيقه أن اضطر الأمر لذلك، لم أعلم كنهة هذه الأقراص، ولا أحد يعلم

- العقاقير المخدرة ازدادت فى الأحياء النائية، على كل حدب وصوب واختلفت المسميات، إنه عالم يحكمه الشيطان نفسه، وكما تعلمون .. الشيطان لن يتراجع عما يفعله، وجميعنا يعلم من هو هذا الشيطان .

حسنا! إنها نشوى، الفتاة التي تعلم كل شيئ عن أي شيئ، على غرار كل هذا الحديث الممض كانت جميلة حقا، لا تستحق أبدا أن تندثر وسط كل هذه الأوراق والكتب،

وسـط عينـان محمـود الغائرتـان التـي تشـعان دهـاء .. بـل تسـتحق أكثـر مـن هـذا .

- ما الحل إذا ؟

قالها محمود فاستطردت نشوى :

- إننا نراقب، لعل شيئا يحدث

***

لسلب حرية الأوطان، عليك أن ترتدي بزلة الشيطان

ياله من أمر شاق !!

❋❋❋

الصخب مرتفع، والصيحات تكاد تلامس السماء، الحماس قد دب فى الأوتار فترى الأهازيج ورقصات الراب المشهوره، موسيقي الجاز جعلت الأجساد ترتعش، والأقراص .. الأقراص فى كل مكان، إنها غذاء الروح وحلقة الوصل بين النهار والليل، بين الأرض والسماء، بين الحياه والموت .

- فلنمت جميعا يا رفاق .. وفى الصبح نحيا

يبتلعون الأقراص فى شراهه فيرتعشون حتى تثمل الأجساد فى ثبات، يزيد الصخب وتزداد الصيحات فتعلو الرغبه فى الجنون .. فتلامس السماء رفقة الشيطان ثم تعود، لحظات وتنطفىء الرغبة .. فيذهب الشيطان بعيدا، تبتلع قرصا آخر لتلامس السماء مرة أخرى .. وهكذا .. الرعشه تزداد والشياطين كُثر، يتوقف القلب كَمدا خيفةً من أن تصعد للسماء ولا تعود، ينبهك للحظات فتثمل مرة أخرى وتنطفىء فى ركن من الأركان .

بجوارك الفتاه راقدة ترتدي خرقه تغطي نهديها، وبنطالا يغطي ساقان كسيقان البامبو .

إنها عارية، ومع ذلك لا تثار .. ولا تنفجر فيك رغبه مماثلة لرغبة محمود سامح البنهاوي فى آسيا ونشوى معا

لـو رآك محمـود الآن لقتـل نفسـه مـن فـرط الحسـره .. لقتـل نفسـه مـن فـرط الضعـف .

- هلموا يا رفاق، مازال الوقت باكرا

سـمعها الرفـاق مـن مايـكل فـازدادت الحماسـه وارتفعـت الوتـيرة، تنحـي جانبا برفقـة فتـى لا يمتلك ثمن القـرص المخدر

- أعدك أن أحضر لك المال غدا .. أرجوك !!

- لا عليك

قالهـا مايـكل بعـد أن أعطـى الفتـى قرصـا آخـر وذهـب يتمايـل يمينـا ويسـارا مـع موسـيقى الجـاز الصاخبـة، يبـدو أنـه المسـئول عـن الأقـراص المخـدره في المـكان .

إنـه الشـيطان الأصغـر إذا والليلـه تـدار بإحـتراف، الأمـوال ليسـت الغـرض مـن كل هـذا، هـم يريـدون ليلـه مكتملـه لا ينطفـئ فيهـا الصخـب أبـدا .

***

انحـدر مايـكل يمينـا حيـث مدخـلا يقـف عليـه حـارس قـوي البنيـه، حيّـاه وتوغـل فى ممـر نصـف معتـم، ينـير النصـف الآخـر منـه كشـافات واهنـه حمـراء اللـون، صعـد الـدرج وعـبر

طرقه صغيره ثم استقر أمام باب غرفة مختار النجار. يمكنك أن ترى شاشات المراقبه داخل الغرفه، ولسوف تندهش عندما ترى مختار النجار وهو يراقب الشباب المراهقين فى تمعن، الكاميرات تتجسس على كل شيئ .. حتى دورات المياه، يا له من أمر مقزز .

مختار النجار كان رجلا نحيفا كأنه قد من عود قصب، وقد ارتفعت كتفاه الضيقتان حتى كادتا تلامسان أذنه، وجهه أصفر ممتقع وعيناه خارقتان تشعان ذكاءً، خصلات شعره ذهبية اللون وجسده واهن بالكاد يحمل بين السبابه والوسطى لفافة تبغ من فئة سيجار .

هو في أول عقده السادس، أو منتصفه .. لا يهم، فى هذه الأيام باتت نهايتك قريبه، يرى بالطبع من القادم فتحدث متحاملا على جسده :

- تقدم يا مايكل

دخل الفتى يافعا فى رشاقه ورعونه كرعونة العاهرات، يتمايل بطريقه استعراضيه فتشمئز منه، تقدم حتى أصبح موازيا لمختار أمام شاشات المراقبه .

- أراك منهمكا يا سيدي

- الحلم، الحلم يا مايكل

فكر مايكل مليا فى الكلمات ثم أجاب فى بلاهه :

- أي حلم يا سيدي

انتبه مختار للكلمات المنزلقه من فمه ثم أشار بسبابته ناحية الشاشات قائلا :

- نريد إنشاء دوله من المختلين عقليا، ناهيك عن أن معظم الشباب هنا من المدن الجديدة

- لماذا لا نذهب إلى الأحياء النائية ؟

- إنه مجتمع متكامل يا سيدي

- هه، متكامل .. كيف هذا ؟

- أقصد أنه يوجد عقاقير مخدره هناك فى الأحياء النائية، بل إنه عدد لا حصر له .

- نوع من التجاره الرخيصه، الحشيش والبانجو وأقراص الترامدول، ويشتقون أنواعا أخرى من خامات مبتذلة، إنهم يحلمون بالرغبه والانتشاء، والخامات التي يبتلعونها لا تفي برغبتهم .

- ....

- الرغبه الحقيقه والانتشاء يا مايكل، هم يحلمون بها، ولكن لا يصلون إليها، إن الكوكايين والهروين أشياء صعبة المنال بالنسبه لهم، إن أقراصنا ستوفر لهم الانتشاء الحقيقي .

ظلا يراقبان الشاشات في تأمل حتى الهزيع الأخير من الليل

ركدت الحركه فى الصالة السفلى للديسكو فتحرك مختار على الفور، خرج من الممر الخلفي حتى وصل إلى السياره ثم غادر المكان .

***

آسیا

الظفـر بفتيـات حسـناوات أمر واهـن، العـالم مليـئ بالفتيات ذات البـشره الكادحـه، هـي خلقـت لأجـل الفـراش والأطفـال اللزجـون، تضنـي أعوامـا فى البحـث عـن أخـرق لتطعمـه عاداتهـا المريبـه، لـو رأيتهـا فى ممـر ضيـق لعرفتهـا مـن نظرتهـا، ولـو صعـدت معهـا فى مصعـد كهربائـي لدعتـك للمنـزل، ولسـوف تذهـب وتنتشـلها مـن منزلها وتتحمـل أعباءهـا، ولكن .. الظفـر بفتيـات حسـناوات أمـر واهـن، آسـيا كانـت منهـن .

بدايـة الأمـر عندمـا كانـت فى مبنـى النيابـة العامـة، الجميـع يريـد الظفـر بهـا عـدا الحوائـط وأعمـدة الإنـاره الواقفـة أمـام المبنـى، ثـم نظـرات سـائق التاكسي، وعندمـا عـادت إلى شـقة الاجتماعــات لاقــت محمــود اللعــين، تفهــم نظراتــه جيــدا ولسـبب مـا غـير معـروف كانـت تكـره الرجـال، كنـت تمقـت الواحـد فيهـم مئـة مـرة فى الدقيقـه الواحـدة، الأمـر السـائد فى أذهانهـم هـو الظفـر .. ولا شـيئ سـواه، الرجـال فى بدايـة الأمـر يتصرفـون كرهبـان .

ومـن ثـم تبـدأ اللعبـه، هـي ليسـت مـن النـوع التـي يـروق لـه هـذه اللعبـة عـلى الإطـلاق، وهـي أنـك مـا دمـت مرغوبـا إذا أنـت عـلى قيـد الحيـاه .

هــذه الكبــوه مــن الرغبــه ســوف تقــودك إلى بــتر محتــم، ولســوف تكتشــف أنــك بــددت جســدك نــداءً للرغبــة، عندمــا تصــل إلى مشــارف الأربعــين ستكتشــف أنــك هشــا، تبكــي كثــيرا وأن الليلــة التــي انجلــت مــن أجــل الرغبــه لا تســاوي ومضــة مــن الزمــن في حيــاه كانــت مفعمــة بالأحــلام .

انجلـت الليـالي وانجلـت معهـا أحـلام اليقظـه، وهـل بادرك شـك بـأن الرغبـة التـي بداخلـك قـد قتلـت أحلامـك عنـوة .. للحظـة مـا وأنـت فى الأربعـين مـن عمـرك، وقدمـاك تعـبران بـك الحـارات والأزقـة والميادين .. سـوف تتذكـر كل الليـالي التـي انجلـت في قضـاء رغبتـك .. وتبكـي .. عـلى ظفـر لم يكـن لـك عـلى الإطـلاق .

الحيـاه تبـدو مثقلـة بالرغبـات، ولا شـيئ يبـدد السـاعات سـوى الرغبـه، مـرت الأيـام عـلى مقتـل والدتهـا ولا زال المنـزل مليـئ بالتسـاؤلات، قـررت الإذعـان للرغبـه بداخلهـا وفتـح النافـذه، تُـرى .. هـل القمـر ينتظرهـا ؟، هـل يتذكـر آخـر مـرة كانـت ترقبـه فيهـا، عـشرات الأعـوام مـرت والنافـذة مغلقـة، والسـبب أن والدتهـا كانـت مريضـه بفوبيـا المرتفعـات، أضاءت الغرفـة وانتظـرت لحظـات خلـف النافـذه تتهيـأ للقـاء .

فى الأعـلى كان دائريـا، نحاسـيا، متوهجـا .. أو ظنـه كذلـك، رأى ضـوءًا شـحيحا ينفـذ مـن النافـذة إلى داخـل الغرفـة فارتجـف، وقـف يرقـب المشـهد مشـدوها .

الحيـاه مضنيـة ومتابعتهـا مـن الغرفـة أضنـى بكثـير، عليـك أن تنتظـر ظهـور القمـر ومتابعـة لوحتـك المشـابهة لـه، وعليـك أن تختـار فتـاة لتراقبهـا مـن نافذتـك .

أضـاءت الغرفـة وانتظـرت لحظـات خلـف النافـذه تتهيـأ للقـاء، أدارت المقبـض الحديـدي نصـف دائـره وبعدهـا أزاحت النافـذة للخلـف .

إن الحـرب بداخلـك أشـد مـن إرادتـك فـصرت وحيـدا، أجهـدت عقلـك لتجـد مسـلكا بعيـدا عـن الوحـده فوجـدت أن النافـذه مغلقـه دائـما، تتلبـد السـماء بالغيـوم .. فيظهـر قـرص الشـمس .. فـتروح الغيـوم بعيـداً .. تصفـوا السـماء كـما المـرآة وتشـع الزرقـة الحانيـه مـن جديد، ويبقـى قرص الشـمس وحيدا فتبقـى أنـت كذلـك أيضـا، تتكـرر العمليـه مـرات في اليـوم الواحـد، وتمـر الأيـام مـع تكرارهـا، ولا زالـت النافـذة مغلقـة .

قد ملأك الورع من أن تدفن مع رغبتك، ولسوف يشدون وثاقك وأنت مهدم عتيق وحيد إلى البيمارستان، صرت كهلا يهابه الأطفال .

بل صرت تهاب نفسك فتختنق بالبكاء، تحاول جاهدا كتم نشيجك فتستعصي عليك وحدتك فتطلق عوائك وقد أعطبك الجنون .

الحياه إذا مثقله بالرغبات ولا شيئ يبدد الساعات سوى الرغبة، الرغبة التي أقعدتك سنون طوال تشتهي فتح النافذة

تراقب قمرا نحاسيا متوهجا، ولفافة تبغ ترسم لك بسحبها وجه الفتاه، عيناها العسليتان تلتمعان بحزن كما رأيتها آخر مرة، وحاجبان كثيفان يبثان فيك الدفئ والوطن .

دعنا نفتح لك النافذه، دعنا نتخلص من وحدتك، دعنا نتحسس كلماتك فى جوف الظلام لتخبرها بها .. إنك ترغبها وبشدة، ومحمود سامح البنهاوي يرغبها وبشده أيضا .

لسبب ما غير معروف كانت تكره الرجال، كانت تمقت الواحد فيهم مئة مرة فى الدقيقه الواحدة، سوف تخبرك الفتاة بكل هذا .. وسوف تمقت نظراتك إليها .

أضـاءت الغرفـة وانتظـرت لحظـات خلـف النافـذه تتهيـأ للقاء.

أدارت المقبـض الحديـدي نصـف دائـره وبعدهـا أزاحـت النافـذه للخلـف، مـرت عـشرة أعـوام وذلـك الأخـرق مـازال واقفـا، والقمـر أيضـا مـا زال متوهجـا، بـدا لهـا أن السـنوات التـي مـرت لم تمـر .. للحظـات .. تركـت القمـر ورفعـت عينيها ناحيتـه .. وللحظـات أخـرى لم تمقـت فيـه شـيئا، ملامحهـا كانت موزعـة بـين حـزن وابتسـام .

أرجـوك قـل لي أنـك ضرب مـن الخيـال، لا يمكـن أن تكون ملموسـا أبـدا، مـا الجـرم فى أن يجـد الإنسـان شـبيها لـه ؟ كلـما حوَّلـت عينيهـا عنـه عـادت إليـه تتطلعـان، مـا الجـرم فى أن تخـترق كل النوافـذ ؟ أشـار بيـده فأشـارت بيدهـا، مـا الجـرم فى أن تـترك النافـذه مفتوحـة إلى الأبـد ؟ ابتسـم لهـا فابتسـمت لـه .

- أُدعـى آدم، لـن أخـبرك بالباقـي طبعـا لأنـه لـن يهمـك في شـيئ

- وأنا آسيا، أظن أن الباقي أيضا لن يهمك في شيئ

- المكان هادئ جدا، يبدو أنه مكانك المفضل

- لا ليس كثيرا

- فى الحقيقه، لم أتوقع أبدا نهاية كهذه

- حسنا، عليك أن تجرب أشياء مختلفه

لحظات من التفكير قطعها آدم قائلا :

- كنت متيقنا أنكِ مجرد حلم

- ولماذا تراقبني إذا ؟

- لأن الرغبه بداخلي لم تنطفئ أبدا، كانت تزداد كل يوم

مع كل ورقة قرأتها، وكل كتاب أنهيته، كنت أرسم لكِ صوره مختلفة

- إذا وحدتك جعلتك تقرأ

- لا، أنا الذي اخترت وحدتي، كانت تروق لي، ستصدقينني لو قلت لك أن كل الذين قرأت لهم كانوا وحيدين

- كل الذين عرفوا الحياه انعزلوا

لسبب ما غير معروف كانت تكره الرجال، كانت تمقت

الواحــد فيهــم مئــة مــرة فى الدقيقــه الواحــده، ولكنهــا لم تمقـت فيـه شـيئا، راح يحكـي وراحـت تجيـب فغـدا غـير قـادرٌ عـلى التراجـع .. وغـدت الرغبـه أقـوى .

بالطبـع لم تخـبره عـن مقتـل والدتهـا مؤخـرا، ولم يخبرهـا أنـه يُدعـى آدم مختـار النجـار

***

صدقني .. إن الوطن أشبه بزجاجة فارغة، لو امتلكت أنت
غطاؤها، ستتمكن من ملؤها بما يروق لك .

***

المبنـى كان زجاجيـا، إنـه المقـر الرئيـسي لمجموعـة شركات مختـار النجـار، إن الرفاهيـه تنبثـق مـن العاملـين انبثاقـا،

يمكنـك أن تـرى رفعـت الفـار وهـو يغلـق بـاب سـيارته الكادحـة ،

يرتـدي حلـه أنيقـة وربطـة عنـق سـوداء كقلبـه، بيـدَ لي أن المبنـى مـن الداخـل لا يعطيـك انطباعـا عـن شـئ، ومعظـم العاملـين هنـا يؤكـدون هـذا الانطبـاع، يرتـدون حـلات أنيقـة ويروحـون ثـم يجيئـون فى الصالـة الواسـعة لترتسـم الصـوره، فتأخـذ انطباعـا بالأهميـه، « هكـذا تنجـح أفـلام السـينما« .

فى الحقيقـه هنـاك اختصـار مكـون مـن ثلاثـة أحـرف بالإنجليزيـه وهـو ((s.r.n، بالطبـع محفـور بطريقـه منمقـة عـلى قطعـة خشـبية يضعهـا مختـار أمامـه، وهـي علامـه تجاريـه لمجموعـه شركات يمتلكهـا مختـار النجـار .

- أهلا يا رفعت بيه

قالهـا مختـار النجـار بعـد أن جلـس رفعـت أمامـه، فى الحديـث عـن الأمـوال عليـك أن تكـون أكثـر ذكاء، عليـك أن تجعـل عينـان رفعـت الفـار تتسـعان فى دهشـه، هكـذا تضمـن بقـاؤه في صفـك .

بعد عامين ستتغير الأوضاع بالتأكيد، بالطبع سوف يبذر رفعت النصف مليون، وسوف ينسى كل تلك الوعود، وسوف يسيل لعابه من أجل نصف مليون أخرى .. من أجل الصمت، حسنا .. لا توجد أي مشكله على الإطلاق . يمكننا القول حينها أن رفعت الفار هو الضحية القادمة .

- سأعطيك نصف مليون

اتسعتا عين رفعت في ذهول .. فى دهشه، ساد التوتر للحظات وعلت أبخرة لفافة التبغ الخاصه بمختار إلى الأعلى .. وعلا معها سقف طموحات رفعت .

- وما المقابل ؟

- حسنا، اتفقنا

أشعل رفعت لفافة تبغ فى محاوله منه لصد سيل من الهواجس المخيفة، الإنسان لن يعيش مرة أخرى لتأتيه فرصه كهذه، تحمحم في عجلة .. وتقدّم للأمام بجسده فشعر مختار برغبته في خوضه للتفاصيل فقال :

- الأحياء النائية هي لعبتكم .. وتجيدونها جيدا

- ماذا تقصد ؟

- لـو اعتبرنـا أن كل منطقـه يحكمهـا عـشرة أشـخاص، في الشـوارع والحـارات المكثفـه بالمقاهـي، وأمـام الحانـات الليليـة، وفي صيدليـات بعينهـا، هـؤلاء الأشـخاص يبيعـون الأقـراص المخـدرة للشـباب .

- ....

- سـأوضح لـك الأمـر ولكـن اشرب قهوتـك أولا، قـرأت ذات مـرة عـن عمليـة سـطو بلـدة كاملـة في الولايـات المتحـدة بالأقـراص المخـدرة، في بدايـة الأمـر زاد اندهـاشي، ولكـن .. حينـما علمـت بـأن العمليـه نفسـها قـد تمـت بمشـاركة رجـال مهمـين في هـذه البلـدة، فكـرت كثـيرا في الأمـر، وهـذا مـا جعلنـي أسـتعين بـك .

علـت الدهشـه عـلي وجـه رفعـت الفـار فأجـاب بفمـه المـوارب:

- بي أنا !! كيف ؟

- أنـت رجـل مهـم .. ذو نفـوذ قويـة وسـوف تسـاعدني كثـيرا

لفافـة تبـغ أخـرى سـوف تفـي بالغـرض، زادت الأبخـرة عـلى سـطح المكتـب وزاد معهـا الاقتنـاع بالفكـره، رفعـت كان

يراقب اللوحه الخشبية بوجوم فقال مع اصطناعه الجديه :

– إذا أنت تريد أشخاصًا جددًا في هذه المناطق النائية، وسوف تتولى أنت أمرهم .

– يبدو لي أنك لن ترهقني كثيرا .

– تريد أن تبتاع عقول الشباب بمبلغ زهيد، قرص مخدر له آثار تعلمها جيدا، ولأن مجموعة شركاتك تعمل في هذا المجال فذلك يسهل الأمر عليك كثيرا .

– هذه لعبتي، وقد درست الأمر جيدا، في هذه البلدة في الولايات المتحده نجحت الخطه وانتشرت الأقراص المخدره، ظهرت فئه من الشباب يعترضون، كانوا قله قليله فلم ينصت لهم أحد .. ولكن نجحت الخطة، وقد تمكنوا من إحكام قبضتهم على فئه كثيره جدا منهم، أنت تعلم .. الشباب كالكلاب البوليسيه يثيرون الفوضى في كل مكان

– حسنا، لقد فهمت، المشكله الأولى لديك هي الشباب وسوف تتخلص منهم .

في لحظه ما كانت تروضك ألين الكلمات، تتطلع إلى السماء وكلك تأمل فتأخذك رجفة، رجفه تدل على إنك ملموسا وما زلت بشريا، في نافذة ما .. في مكان ما ..

كنت تتابع قرص الشمس وهو يدنو للأسفل .. يصطبغ الأفق باللون القرمزي . ولون الدم، تزداد الرجفه مع إرتداء السماء عباءتها الليلية، ترهقك قدماك فتخرج للشرفة وتجلس لتتابع النجوم في حسره، يا ليتني هناك .. عند سطح القمر، أعيش وحيدا واصطاد النجوم من حين لآخر، ستكون وجبتي الشهيه دائما، مرت أيام وأسابيع وشهور وسنين، مررت بما مررت به لتصبح مختار النجار، لا تعلم متى ولا كيف ظهر الغول بداخلك ونمى.

إستيقظ بعدما صارت الكلمات لا تُجدي، أنت لم تعد تروضك ألين الكلمات، ولا عدت تطيق التطلع للسماء، وأصبحت النجوم هي نفسها البشر، تصطادها من حين لآخر، إنها وجبتك الشهيه دائما .

والقمر أصبح مزحة يحكونها الكبار للصغار، في داخلنا غول تروضه الأيام والمواقف، ولم يستطع مختار أن يرفض فكرة أن يكون قويا .

البركان مازال خامدا، ولن نجد النجاة إن ثار، الغازات الصهريه والأتربة الرمادية ما زالت تحوم عند الفوهة

مختار يعلم هذا جيدا، ومياه المحيط تلتف بجيمع الاتجاهات سوف تبتلعنا مياهه إن قررنا الهرب، ناهيك

عن أن مختار النجار سوف يقفز في طائرته المروحيه محلقا بعيدا عن البركان، يتابع الحشد وهم يحترقون بالحمم البركانية، ينفث دخانه في تأثر إلى أن يختفي إلى الأبد .

إن الفوضى العارمة اجتاحت المناطق النائية، ورفعت الفار متحمس جدا للنصف مليون، في قوانين الفيزياء هناك قانون «كيرشوف»، يمكننا سرده هنا في طريقه روائية، سيكون مبتذلا طبعا ولكن هذا يفي بالغرض .

مجموع الشباب الذين تم القبض عليهم في الحمله التي شنها رفعت الفار، يساوي مجموع الشباب الذين تم توزيعهم من خلال مختار النجار .

يمكننا أن نرى العيون الغائره في كل مكان، في الشوارع والحارات المكثفة بالمقاهي، وأمام الحانات الليلية وفي صيدليات بعينها، كل الطرق تؤدي إلى الأقراص المخدرة الجديدة، في الحقيقه لم نعلم كنهه هذه الأقراص المخدرة ولكنها تشبه أقراص المورفين في كل شيئ، الغريب في الأمر أن هذه الأقراص لم يطلق عليها اسم معين، ولكن الشباب يبتلعون أي شئ يفي بالغرض .

اتسعت رقعة القرص المخدر في الأحياء النائية، وأصبح له عدة أسماء،، ولكن اسم مورفين هو الأكثر شيوعا .

في الحقيقه .. إن الأشخاص الذين يبيعون هذه الأقراص كانوا أكثر ذكاءً، أنت تبيع الوهم للشباب، ولو اضطررت إلى أن تطلق عليه اسم ترامادول .. سوف تفعل هذا بالطبع

إن الأقراص لا يوجد لها اسم معين .. ولا كنهه معينه، ولكن كما قلت لكم، إن الشباب يبتلعون أي شيئ يفي بالغرض .



بعد عامين ..

- هكـذا كان العـالم يقـترب مـن لمـس الفضـاء، ونحـن ننزلـق إلى فجـوة مظلمـة .

قالهـا محمـود سـامح البنهـاوي وهـو يتحسـس بيـده عـلى زجاجـة ميـاه معدنيـه، بشـكل أو بآخـر لا يـشرب ميـاه الصنبـور .

- نحـن نـرى العـالم مـن منظـور آخـر، ننتمـي لمجتمـع لا يـروق لنـا عـلى الإطـلاق .

كانـت هـذه نشـوى، الفتـاة التـي تعيـش حيـاه دراماتيكيـة لا تشـوبها شـائبة، أنـت تنتمـين للفضيلـة لأنـك تـرى فيهـا العهـر نفسـه، حلـم النضـال بقميـص وردي لـه فتحـة صـدر يطـل منهـا نهديـن يشـعان إغـراءً، تحملـين لوحـه منقـوش عليهـا بالخـط الأحمـر .. كأنـه أحمـر شـفاه، « لا للاضطهـاد الجنـسي «

في نفـس الوقـت الـذي تسـتمتعين فيـه بنظـرات محمـود سـامح البنهـاوي العاريـه، تعتبريـن نفسـك مـن البروليتاريـا التـي سـتحرر المجتمـع وتبنـي الاشـتراكية بشـكل أممـي .

- العالم يسقط في فخ الأقراص المخدرة، فلولاها ما تزوج معظم الرجال، إنهم يعيشون كابوسا حقيقيا بسبب هذه الأقراص، ماذا لو انتهت، ستنتهي على إثرها الخصوبة عند الرجال .

ها هي آسيا، إنها تمقت الرجال مجددا، الفيلسوف القديس أوجسطين وحلم المدينة الفاضلة، لن تستطيع أن تصطاد شفتان كهذان أبدا، دون معاناة بالتأكيد، ترى الرجال عبارة عن مبيضين يضنون حياتهم لأجل ظفر مربح، تحفظهم جيدا وتحفظ حيلهم من أجل هذا الظفر .

محمود صار ممتعضا، إنه الرجل الوحيد في المدينة الفاضلة التي يعيشون فيها ثلاثتهم، لم تعطه آسيا فرصة الدفاع وقالت مرة أخرى :

- إنهم يبيعون الأقراص المخدرة بثمن بخس، يعرضونها على الجميع كأنها الحل في زيادة الخصوبة لدى الرجال .

زاد وجه محمود امتعاضا فقال حانقا :

- إنها الرغبه ليس إلا، كلما زادت رغبتكم في وقت إضافي زادت الأقراص

هنا ظهرت نشوى مرة أخرى :

- هناك من يحاول إفساد كل شئ، كأننا عقبة هذا المجتمع وليس الطريق لإصلاحه، هذا المجتمع لا يروق لي حقا، إنه مختل واهن .. وأعمدته التي يستند عليها قد بناها الاحتلال في حقبة ما قبل التحرر، نحن نعاني من الهشاشة حقا .

ردت آسيا :

- تقصدين أنه يوجد شخص ما، في مكان ما، يتحكم في كل شئ نمر به

- فلنقل هذا، على الأرجح هناك سبب واضح يفسر ما نمر به

قالت آسيا في تحدي :

- ولو أحرقنا كل الأقراص المخدره في العالم، هل هذا هو الحل ؟

تثاوب محمود في ملل، بينما اعتدلت نشوى في جلستها، يبدو أنهم لا يمتلكون إجابة فعادت آسيا تجيب :

سوف تظهر معضلة جديدة، وهي الرغبه في صنع شيئا آخر، ليفسد كل شئ، كلٌ منا يرى العالم من منظور معين

المدينة الفاضلة الخاصة به، مثلا فنشوى تريد مجتمعا آخر، يشبه المجتمعات الأوروبية المتقدمة، لأن هذا المجتمع لا يروق لها، وأنت يا محمود تدافع عن الأقراص المخدرة، لأنك أول المتضررين .

المشكله أكبر من هذا كله !

قالتها ونهضت لتعطي انطباعا بالأهمية وعادت تنفي سؤالها :

- ماذا لو لم تحترق كل الأقراص المخدره في العالم ؟

سنكون نحن أيضا المعضلة بعينها، هناك من يحاول إفساد كل شيئ حقا، والكارثة أن الجميع يعلم من هو، إنه يتقمص دور نصف الإله، المشكله منذ قديم الأزل .

تحركت سنتيمترات معدوده وأمسكت بكتاب ما من على الحامل الخشبي، سحبت زفيرا ثم استكملت :

- عندما بدأ هوبر الفيلسوف في رسم مدينته الفاضله، أوجب على الناس أن يتنازلوا عن حرياتهم للملك، نحن نعيش عصر الملك منذ قديم الأزل، ما الذي أضافه هوبر المجنون هذا، المدينة الفاضلة فكره خاطئة، أنت ترى العالم من منظورك الخاص ولا يجب أبدا أن تشِّرع القوانين التي تروق لك، فقط لأنها راقت لك .

سُقراط أعدموه بسبب أحلامه في مدينة فاضلة، لنقل بأنه رفع من أمام أعين الآثينيين مرآة الغرور ووضع لهم مكانها مرآة الحقيقة، الناس أفزعتهم النتيجه، فانهم لم يروا في المرآه صورة ادميين .. بل صورة وحوش، لقد اتهموه بإفساد عقول الشباب، لم يقتنع حكام آثينا بالمدينة الفاضلة.. بل لن يقتنع أي شخص في هذا العالم أن يعيش وبداخله مدينة فاضلة، أنت تعني أن تعيش في عالم بدون حرب، بدون قتل، بدون عقاب وبالتالي بدون سجن، لن يكون هناك عملا للشيطان، لن يكون هناك شيطان من الأساس .

الفرق بيننا وبين آثينا قديما، أنهم أعدموا سقراط بكل ما يحمل من علم، عندما ظنوا لوهله أنه يفسد عقول الشباب .

إن الفجوه صارت مفزعة حقا، يمكنك أن ترى القاع المظلم من بعيد، الكارثه أن الفجوه صارت في العقل نفسه، كلما مرت الأيام توانت عن الاتساع، الكل يرسم مدينة فاضلة خاصة به، حتى بائع الأقراص يظن أنها الفضيلة نفسها وأن العالم هو من أودى به لممارسة هذا العمل، إنه مجتمع هش لا يقبل أمثاله، وأستطيع أن اقول «إنها الفضيلة التي ترتسم في زهو أعلى ثغورنا بعد كل فعل»

- أعتقد أنك تتحدثين عن أفلاطون ؟

على الرغم من أن الحديث عن الماضي يبدو سخيفا، لكن محمود لا يريد أن تهتز الصوره بداخل عقله، لا يقبل المعلومات الزائفه أبدا، إن الثروه الكامنه بعقله نتيجة قراءة دامت كثيرا، فلمَّا لم يجد حديثا مناسبا للرد على القديس أوجسطين المتمثل في آسيا بالطبع، ظل يكرر السؤال في ذهنه كببغان :

- أعتقد أنك تتحدثين عن أفلاطون ؟

زفر أوجسطين في حنق قائلا :

- في الحقيقــه، إن لــكل شــيئ بدايــة، والبدايــه نفســها هــي الفكــرة، وأفلاطــون عــاش طــوال حياتــه ينفــذ أفــكار ســقراط .

ثمــة حلــم كان يختبــئ بــين أركان الظــلام، ظــل يتقلــب ويتكــور في الزوايــا وبــين الأحشــاء، ظــل ينبــت ويتكــون في الظــلام وهــو يــرى النــور في آخــر النفــق، حتــى لفظــه الظــلام بــين الغابــات وعــاش بدائيــا، الإنســان عــاش بدائيــا لفــتره لا بــأس بهــا، ظــل يحلــم بمدينــه فاضلــة تحــرره مــن الغابــات والحيوانــات المفترســة، بنــي كوخــا مــن ســيقان البامبــو ثــم اخــترع آلــة حــادة جعلتــه يهــدم هــذا الكــوخ، ليبنــي كوخــا مــن الأخشــاب، ناهيكــا عــن قصــة ارتطــام حجريــن وإشــعال النار.

ثمــة فكــره بــدأت قديــا ونحــن غارقــين بــين أركانهــا، العــالم كلــه الآن يعيــش حقيقــة كانــت حلــم قــد حلمــوه قديــا، وهــذا العــالم الحــالي أيضــا يتغــذى مــن أفــكار ليســت ملكــه .

نشــوى كانــت تتجــرع الاهتــام مــن نظــرات محمــود ســامح البنهــاوي، هــو يرغبهــا لــيروي ظمــأه، فقــد اعتــصرت الرغبــة

عقلــه فرســم أوضاعــا لا حــدود لهــا، ســيكون ممتنــا للعــالم لــو منحــوه نشــوى للحظــات، بــل ســيكون ممتنــا للشــيطان

نفسه، إنها الفضيلة التي ترتسم في زهو أعلى ثغورنا بعد كل فعل .

قالت نشوى في تشف وهي تراقب محمود مع اصطناعها الجدية في حديثها :

- تبا !، نحن نعيش في المدينه الفاضلة التي حلم بها البدائيون .

لم يندهش القديس أوجسطين من الكلمات التي علتها الذهول فأجاب :

- لنقل هذا، إن المدينة الفاضلة كانت حلم لدى البدائيون ولكنها تلطخت بدماء أول ضحيه استولى على فريسة ليست ملكه فقتلوه، وكما تعلمون .. لا تسير الأمور دائما كما نرغب، سادت الدماء واقتلعوا الأشجار ليبنوا أكواخا عديدة، ولم ينتهي الأمر لديهم هكذا طبعا، خرج رجل ذو بنية قوية وقال أنا الحاكم، الأمر لم يرق لقلة منهم فانقسموا لجزءين، وبالتالي أصبح هناك حاكمين .

زادت المعارك على كل شئ ومن هنا بدأت الحكايه، وبدأت المدينه الفاضلة ترتسم ملامحها .

يبـدو أن العـالم في خطـر ولا وقـت للظفـر بنشـوى الآن، سـيفتضح أمـره إن ظـل يرمـق نهديهـا البارزيـن .

قـال محمـود وقـد عـلا صوتـه مـع اصطناعـه الجديـة نفسـها التـي اسـتخدمتها نشـوى :

- حسـنا يبـدو أننـا في منزلـق يـؤدي إلى القـاع، ويبـدو أن القـاع نفسـه بعيـدا جـدا .. لـو اعتبرنـا طبعـا أنـه النهايـة .. والخـلاص مـن كل هـذا، المشـكلة ليسـت في الأقـراص المخـدرة فقـط، وليسـت في البحـث عـن مجتمـع يـروق لنـا

إن مجتمعاتنـا تفسـد كلـما تطـورت، وتهـزي وتصبـح رثـه كلـما تقـدم بهـا العمـر .



البداية

- لقد حان وقت البكاء، دعني يا رفيق القبو أنحب كالنساء، أرجوك لا تمسك بتلابيبي لتخبرني أن البكاء فقط للنساء .

إن عيناك الداميتين عاجزتين عن البكاء، آثار الأقراص المخدرة تضيئ قرنيتاك بلون الشيطان، ذقنك النامية في الظلام دون اهتمام تشيئ بك، أنت مختل عقليا ومع الوقت ستنسى أنهم كانوا يدعونك بخالد، ستنسى أنك ما زلت على قيد الحياه، دكتور صيدلي كان يعمل في شركه أدوية معروفه يمتلكها رجل أعمال يُدعى « مختار النجار »، أنت أول من خطت قدماك القبو .. ولحسن حظك أنه بعد عامين أحضروا لك رفيقين آخرين يدعيان كمال وعبد الرحمان حسنا، لن تستطيع البكاء أبدا بعد الآن كما قلت لك، ربما لأن غددك الدمعية لم تعد تتصل بعقلك، لا أعلم كيف، أعتقد أن الظلام صنع منك وحشا، لن ترى النور أبدا حتى في أحلامك، أحلامك كلها في الظلام، مع الوقت صرت تختال نفسك لا ترى، تغلق جفناك فتراهم يحملونك على محفة، يمشون بك في الظلام وهم يتخبطون بكل شئ، يتحسسون الدرج لأسفل حتى يصلون بك إلى

القبـو، تصحـوا فزعـا فتجـد نفسـك في القبـو ذاتـه، تـصرخ دون جـدوى، تسـتغيث، تبكـي دون دمـوع، ترتجـف .

تتذكـر البدايـة جيـدا، عندمـا قلـت «لمختـار النجـار» لا، كلمـه مكونـة مـن حرفـين قـد حولـت مسـتقبلك لظـلام قاتـم، ليتـك فكـرت مليـا قبـل نطقهـا، ليتـك مـا قلتهـا ولـو لمـرة واحـدة، ليتـك قبلـت العـرض، ولكنـك رفضـت بعدمـا علمـت الـسر .

عـدت إلى زوجتـك دون أن تحكـي شـيئا، أطفـأت لـك أنـوار الغرفـه لأنـك لا تنـم إلا في الظـلام، اقتربـت منـك رغبـة لارضـاء جسـدها المشـتعل شـوقا لـك، لكنـك لم تشـتعل، ولكنهـا لم تجـدك ذكـرا كـما عهـدت، لقـد انطفـأت رغبتـك الليلـه، صرت تحـدق في الظـلام بالـكاد تتبـين ملامحهـا العتيقـه، وصـارت تبتعـد راجفـة عـن الـبركان الخامـد الـذي لم ينفجـر بعدمـا اشـتعلت في جذوتـه النـيران، غفـوت وكلـك يقـين بـأن الـسر سـيطيح بـك، تغلـق جفنـاك فتراهـم يحملونـك عـلى محفـه، يمشـون بـك في الظـلام وهـم يتخبطـون بـكل شـئ، يتحسسـون الـدرج لأسـفل حتـى يصلـون بـك إلى القبـو، تصحـوا فزعـا فتجـد نفسـك في القبـو ذاتـه، تـصرخ دون

جـدوى، تسـتغيث، تبكـي دون دمـوع، لا فائـده .. لـن يشـعر بـك احـد، حتـى زوجتـك في آخـر ليلـة لم تشـعر بـك، لم تجـد فيـك الذكـر الـذي عهدتـه فابتعـدت عنـك .

– لقـد حـان وقـت البـكاء، دعنـي يـا رفيـق القبـو أنحـب كالنسـاء، أرجـوك لا تمسـك بتلابيبـي لتخـبرني أن البـكاء فقـط للنسـاء .

عاد يكرر فيها خالد فاشمئز منه عبد الرحمان قائلا :

– لماذا تأخرت جرعة المورفين ليهدأ هذا الثور

– تصر على أنه مورفين

قالهـا كـمال الرفيـق الثالـث في القبـو فتحـدث عبـد الرحـمان مشـمئزا مـرة أخـرى :

– ومـا الجـدوى مـن فلسـفتك الزائـده الآن، جميعنـا يتجرعه، مـاذا يعنـي لـك اسـم مورفـين مـن هروين .

رد كمال في ثقه :

– علـك تشـعر بالذنـب أيهـا الأحمـق، إنـك اقترفـت الذنـب كلـه .

قال عبد الرحمان في حزم :

- اسمع أيها الشرطي، أنا لم أقترف الذنب وحدي، ثم إنني لو لم أصنع له القرص المخدر، كان هناك آخر سيفعل ذلك

- رباه، أحرق هذا الوغد في مقلاه، حسنا أيها الصيدلي

لنتحدث بوضوح، أنت قبلت الصفقه ومع ذلك أنت هنا

- الفرصه تأتي مرة واحدة، لم أكن أقتنع بهذه الحماقات

لم أكتفي بالفرصه الأولى، ذهبت إليه بعدما استجمعت قواي .. ثم طلبت المزيد .

- والأقراص .. هل تظن أنها تفي بالغرض لإخماد شعلة الشباب

- هذا الرجل يشبه الشيطان حقا، إنه يريد تدمير كل شئ، يريد مدينه نائمة غارقة في الأحلام، والقرص المخدر يعمل على هذا، إن نبتة الخشخاش هي المكون الرئيسي للقرص، مع بعض الإضافات الأخرى التي لن تعلمها بالطبع، ناهيك عن أن مشتقات المورفين كثيره، ونحن حاولنا العمل على هذا، إن الزياده في النبته الأساسيه يدمر

كل شـــيئ، ولكــن لا بــأس .. اثنــين في المئــه يفــوا بالغــرض

إن هـذا الشيطان طلـب مني المزيد، إنه لا يخشـى أيـة أضرار .

- والآثار الجانبية ؟

قالها كـمال فأطلـق عبـد الرحمـان ضحكاتـه في الظـلام، إن صــوت ضحكاتــه يــتردد في القبــو المغلــق، هــذا الأحمــق كان يضحـك مثـل الشـيطان، إن تجاعيـد وجهـه في الظـلام تخنقـك ،

تجعلــك تتهيــأ بقبضتــك ثــم تلكمــه بقــوة عنــد قصبتــه الهوائيــة، لحظــات ولــن تســمع صوتــه مــرة أخــرى .

إن القبـو يختنـق بالظـلام، هنـاك بصيـص مـن الضـوء قـادم مـن أسـفل البـاب الحديـدي للقبو، يمكنـك أن ترى من خلاله ظـلال الشـخص القـادم، أنـت تقـضي حاجتـك في كل ركـن مـن أركان القبـو، وتتقيـأ إن لـزم الأمـر عـلى الجـدران، الرائحـه خبيثـه والجـدران تشربـت مـن كل هـذا، لا فائـدة مـن معرفـة الوقـت، ولكنهـا الشـمس التـي تبـدد مخـاوف الليـل، يمكنـك معرفـة الوقـت مـن الضـوء القادم أسـفل بـاب القبـو الحديدي .

هنــاك شــخص قــادم، إن الظــلال ترقــص يمينــا ويســارا، يبـدو أنـه شـخص ضخـم، انحنـى ليضـع الطبـق عـلى الأرض

أسـفل البـاب الحديـدي، ثـم ركلـه بقدمـه اليـسرى بقـوه فأصبـح بالداخـل

قبل أن يغادر الرجل الضخم قال بصوت رخيم :

- كفاك ضحكا مثل العاهرات «ثم انصرف»

هـرع خالـد يبحـث عـن الطبـق في الظـلام .. ثـم انكفـأ عليه ككلـب يلهـث مـن فـرط الظمـأ، أخـذ يشـهق بقـوه مـن آثار

المخـدر الـذي يستنشـقه ثـم عـاد منزويـا في ركـن مـن أركان القبـو، انكمـش لدقائـق فـراح شـخيره يتعـالى كمحـرك طائـرة .

- حسنا لقد هدأ هذا الثور ولم يترك لنا سوى القليل

قالها عبد الرحمان فقاطعه كمال على الفور :

- دعـك منـه، لنتحـدث عـن مسـتقبلنا في هـذا السـجن، هـل سـنصبح مثـل خالـد في يـوم مـا ؟

- أعتقـد بـأن هـذه هـي نفسـها الآثـار الجانبيـة التـي كنـت تتحـدث عنهـا، وإني لأقسـم لـك أنـه لـولا هـذا الظـلام الدامـس لرأينـا بعـض التحـولات في وجـه عبـد الرحمـن، ولكن مـا الفائـدة مـن الحديـث عـن الآثـار الجانبيـة أيهـا الشرطـي ؟

- ......

- أنـت تمضـغ التبـغ بشراهـه، دون أن تفكـر لحظـه في الآثـار التـي سـتنجم عنه

- تقصد أنه لن يفكر أحد في الآثار الناجمة عنه ؟

- هـذه مزحـه، لا أعلم كيف كانت سـتمر الأيـام هنا دون تبغ أعتقـد أنهـم رحمـاء جـدا يـا هـذا، أنـا ممتـن لهـم، يرسـلون لنا التبغ والمواد المخدره لكي نستطيع أن نحيا في أحلامنا من دونهم سنموت من فرط الحقيقة .

- لمـاذا لا يرسـلون لنـا الفتيـات هنـا، نحـن في أشـد الحاجـة إليهـم .

سمعها عبد الرحمان فقال حالما :

- تـرى .. هـل مـا زالـت زوجتـي عـلى قيـد الحيـاه ؟ أم ماتـت كمـدا عـلى فراقـي، أعتقـد أنهـا بـددت الأمـوال في أحمـر الشـفاه

إنها مراهقه، لو كنت بالخارج الآن لقتلتها، ولكن من الجيد أنني هنا .

– لنتحدث بجدية قليلا، أرجوك .. أريد أن أخرج من هنا

– لن نخرج من هنا أيها الشرطي، إنه عقابنا، انها النيران التي ستحرق الكل، الكل خارج القبو سيعاقب، وعقابنا أنا وأنت وهذا الثور الهائج أن نظل هنا .

– يا له من عقاب وخيم، وزوجتي .. وأولادي !!!

– لا تقلق، سيجدون من يراعهم، أو بالأحرى من يأخذ مكانك .

صرخ كمال في غضب :

– كفاك حديثا عن الموقف كأنك تراه .

أجاب عبد الرحمان في كياسه :

– هكذا الحياه أيها الشرطي .. معقدة جدا .. حتى عندما تتزوج امرأة ظللت تلهث خلفها أعواما، تبدأ أحلامك بالظفر بأخرى، إن الأخريات جميلات ما دمت لم تقترب منهن أبدا.

صدقني، زوجتي كانت كإيزابيلا، كنت أحسب أن حياتي ستنتهي إن لم أحصل عليها، كل ما كنت أفكر به هو قبله في الظلام وأنين يعلو وينخفض، مرت الأيام واكتشفت أنها مراهقه، حمقاء، تفعل أي شئ من أجل المال، صِرت ألعن نفسي وألعنها، لقد قبلت الصفقه لأجلها، لقد قبلت العيش مجبرا في هذا القبو لتعش هي خارجه، لقد انتهت حياتي حتى بعد الظفر بها .

– لا تقلق، ستموت حتما ولكن بطريقه أخرى، هنا داخل القبو، لقد سمعت الحارس ذات مره يتحدث عن أشخاص كانوا هنا من قبلنا، لقد ماتوا جميعا .

ظل عبد الرحمان يبحث عن الطبق في الظلام، عندما عثر عليه أخذ يشد إلى أنفه المسحوق الأبيض وهو يقول :

– ترى، من القادم ؟!



إنه الخريف وحفيف أوراق الشجر المصفرة الجافة

في الليل تلفحك نسمة باردة من عبق الذكريات، تتذكر برد فبراير فتتقلص أحشاؤك فتمقت الخريف لأنه ذكرك به، تمل فراغ مدينتك فتقود سيارتك كالمجنون مبتعدا، تبتعد شيئا فشيئا عن عالمك المزيف وبجوارك آسيا، تسحبها معك للأحياء النآئيه التي لم تراها قط من قبل، تنطلق السياره فتترك خلفك الأسوار الشآئكه والبوابات العملاقه لمدينتك العظيمه، الفاصل بينك وبين الأحياء النائيه عباره عن سياج شوكي، يخترقه سكان المناطق النآئيه من حين لآخر لسرقة كل متطلبات الحياه الغير متوفره في مدينتهم، أنت تسير بسيارتك كالمجنون والفتاه تصرخ وتستغيث، تحدق لك وكلها توسل كي توقف مركبتك الفضائيه، فبدلا من أن تتوقف تأخذ كلماتها كأنها طلبت منك المزيد .

تبتلع القرص المليون ثم تشعل لفافة التبغ وتروح تصعد للفضاء، بالتأكيد سينخفض الأكسجين تدريجيا وتبدأ إنذارات الاستغاثه، يهدأ صراخ آسيا كلما هدأ الأكسجين في السياره وتبدأ علامات الورع على ملامحها، في هذه اللحظات ولومضه من الزمن تحدث كارثة، حتما

ستحدث كارثة لتتهشم السيارة إلى أشلاء إن لم يفق هذا الأخرق .

فجأة يدرك أنه في خطر فيتوقف، الفتاة مذعورة ككافر مقبل على النار، كجسد تخرج منه الروح، أن تموت فجأة هكذا وأنت تعلم أنه ليس الوقت المناسب، أنت لست مهيئا للموت على الإطلاق .

آسيا كانت مقبله على الموت فكان الذعر باديا عليها، لحسن حظها أنه المكان الذي يقصده آدم، هناك مسجد قديم والساحه المتاخمه له مكتظه بالبشر، على اليسار موقف للسيارات وفي اليمين عدة مقاهي متلاصقه، إنها الأحياء النائية التي تشعرك بالأمان .. بالدفء، وبالاشمئزاز أيضا

- أنت مجنون، حيوان، ثور، أخرق، أحمق، أبله ..... إلخ .

ما إن انتهت حتى ضحك كالمجنون، والحيوان، والأخرق .... إلخ .

قالت في غضب :

- كنا على حافة الموت وأنت تضحك !!

أجاب متحذلقا :

- ومـاذا يعنـي المـوت، إنه كقـرص مخـدر يتسـلل إلى خلاياك فيخدرهـا، لحظـات ثـم تصحـو في عـالم آخـر، لا يهـم مـن سـيرافقك في هـذا العـالم، سـيكون الشـيطان بالطبـع، ولكنـك سـتجد رفيقـا لـك .

- لماذا أتيت إلى هنا ؟

- لنشعر أننا أحياء

حولـت ناظرهـا عنـه ونظـرت مـن أعـلى زجـاج نافـذة السـيارة وقالـت في اشـمئزاز :

- انظـر أيهـا الأبلـه، إنهم عبـارة عن أشـباح، كيـف يعقل هذا

- تقصدين أنهم يتصرفون بغرابة

- ويتحدثـون بغرابـة أيضـا، إنهـم مريبـون، كيـف يعيـش هـؤلاء .

ضحـك مـره أخـرى كالمجنـون، والحيـوان، .... إلـخ، سـمع أحدهـم الضحـكات المريبـه فاقـترب مـن السـياره، اقـترب أكثر حتـى وصـل ناحيـة آدم وأدخـل رأسـه مـن النافـذه، احتبسـت الفتـاة صرخاتهـا لدقيقـه مـرت طمأنهـا آدم فيهـا بإشـارة، انتهـى

الرجـل مـن تفحـص آدم ولعابـه يسـيل كأنـه زومبـي قـذر، أخـرج رأسـه مـن النافـذة ثـم غـادر يترنـح مبتعـدا .

آدم ظـل يراقـب الفتـاه فشـعر بـأن الأمـر بـدأ يـروق لهـا، حينـما ابتعـد الرجـل ضحكـت هـي الأخـرى كالمجنونـة، والحيوانـة ... إلـخ، ثـم وضعـت يدهـا عـلى فمهـا بعـد أن تذكـرت الرجـل

- ما رأيك بجوله صغيره ؟

هزت رأسها فأردف مره أخرى :

- ولكن هناك بعض القوانين

أصغت إليه فبدأ في الحديث بطريقه مريبة :

- أولا علينـا التـصرف مثلهـم، إن شـعروا بأننـا أغـراب سـيفتكون بنـا، بـل سـيلتهموننا .

- ثانيـا نحـن ذاهبـان لنبتـاع الأقـراص، هـذه هـي الطريقـة الوحيـدة للنجـاة

- ثالثـا وأخـيرا، الركـض يعنـي المـوت، إن شـعرت بالخطـر عليـك بالتمثيـل، لا شـئ سـوى التمثيـل بدقـة، إنهـم أغبيـاء، ولكنـك لـو ركضـت بالطبـع سـيظهر أحدهـم أمامـك فجـأة

ليطعنك بآلة حادة .. ولسوف تخترق أحشاؤك الي الأعماق..
وبهكذا .. ستنتهي حياتك دون أن يعلموا كيف انتهت

- اتفقنا

- اتفقنا

ترجلَّ آدم وترك السياره بعيدا، ثم توغل بين الأشباح بتوجس طلب منها أن تحني ظهرها لتكتمل اللعبه، تمتمت ببعض الكلمات فمال عليها لسماع ما تقول :

- لماذا يشبهون الزومبي حقا، إنهم غريبي الأطوار

- إنها الطبقه المنسيه، أو بالأحرى تحت الصفر، المخدرات هي التي تساعدهم على نسيان كل شئ، يقال إن سبب كل هذا هو قرص مخدر انتشر مؤخرا، ناهيك عن أنني ابتلعته عدة مرات ولكن كلما اشتقت إليه، ولكنهم يبتلعون الأقراص كي يكتمل يومهم ويمر، ويتغذون على الأحشاء، فقط الأحشاء هي وجبتهم المفضلة، فقط أحضري لهم أحشاء كلب وسيضعونها في المقلاة ثم يمضغونها بتلذذ، هذا قمة الترف بالنسبه لهم، إنها وجبتهم الشهيه، بالطبع هناك فئه منهم يتغذون على أحشاء القطط .

لقد انقرضت القطط هنا منذ فتره تقريبا، فبدأو يزحفون ناحية المدن الجديده .. لحسن حظهم أنها لم تنقرض هناك أيضا .

شهقت الفتاه عندما سمعت كل هذا .. فتراجعت عن حماقتها وعادت للانحناء بظهرها لتظهر كزومبي محترف

قالت هامسة :

– ماذا ستفعل ؟

– سنتوغل أكثر، إنهم نيام من أثر الأقراص التي يبتلعونها، ولو استيقظوا ذات مرة لارتعبوا من هيئتهم .

مروا بزقاق ضيق يفترش على جانبيه نساء يبعن الملابس القديمة المتهالكة، عبراه فوجدا أنفسهما في زقاق جديد يبيعون فيه أحشاء السمك، في نهاية الزقاق امرأة تبيع الجبن، إنه الجبن .. هناك إذا فئه منهم تتغذى على الجبن .. هذا يعني أنه هناك بعض الأحياء هنا .

حملقت آسيا مشدوهة من الجبن ثم تمتمت في أذن الفتى :

– يوجد بشر مثلنا هنا !!

- إنها الفئة التي لم تتأثر بشئ، ناهيك عن أنه جبن وليس ريكفورد .

- أنت قلت إن المخدرات هي السبب .

- إنهم يتعاطون المخدرات لأنها تساعدهم على فعل كل شئ

في البدايه قلَّت لديهم المياه فامتنعوا عن الاستحمام لأجل الشرب، ظلوا عام كامل دون استحمام حتى جفت مياه الشرب أيضا، ما إن شحَّت المياه حتى شحَّت الحياه بأكملها، توقفت ماكينة الحياه لديهم وبالطبع قلَّ الطعام تدريجيا، الأقراص المخدره لها دور فعَّال في كل هذا، فقد ساعدتهم على المرور من تلك الكبوه، نظموا وقفات للمطالبه بأبسط حقوق الإنسان .. ولكن لم يكترث لهم أحد، منذ شهر تقريبا زحفوا ناحية المدن الجديده وشنوا هجماتهم على الأغنياء، سرقوا المياه والطعام من المحلات الكبرى ثم عادوا، هناك أيضا عمليات الزحف الفرديه والتي تحدث دائما، بالطبع كانت هناك ضحايا وقد قتل عدد منهم على يد رجال الشرطه .

قالت آسيا في حزم

– لنعد

– ليس قبل أن نبتاع الأقراص .

تجاوزا الزقاق يسارا حتى ظهرت ساحه واسعه لمفترق طرق، هناك حشد منهم يركضون ناحية شئ ما، لحظات وسمعا أحدهم يصرخ :

– لقد أمسكوا بأحد الأغنياء

انتفضت آسيا فتمتم لها آدم ببعض الكلمات حتى لا يفضح أمرهما، مال آدم على أحدهم وسأله عن «رأس الغول» فأجابه الرجل بإشارة ناحية لوحة خشبية ضخمة معلقة على الحائط، مكتوب عليها بالخط الأسود المتعرج «رأس الغول»

غذّا السير ناحية المبنى القديم المعلق عليه اللوحه فوجد الفتاة تنتظره، قبل أن يصلا للفتاة قالت آسيا في توجس :

– من هذه ؟

– لا تقلقي، إنها من الأحياء

- وماذا تريد منها ؟

- الأقراص .. لا شئ سوى الأقراص

اقترب من الفتاة أكثر وسألها عن رأس الغول فأجابته :

- أين المال ؟

دس يـده في جيبـه فأخـرج كومـة مـن المـال وأعطاهـا إياهـا، قالـت لـه وهـي تعطيـه الأقـراص :

-عليـك أن تنتبـه أنـت وصديقتـك، منـذ أن قتـل عـدد منهـم في آخـر زحـف قامـوا بـه تجـاه مدنكـم وهـم يشـتمون عـلى أي واحـد منكـم .

- لا تقلقي

- سآراك ثانية

- بالتأكيد

وضـع الأقـراص في جيبـه وتراجـع بضـع خطـوات، طلـب مـن آسـيا أن تحنـي ظهرهـا وتتبعـه حتـى ذابـا بـين المـاره .

- إنهـم في تزايـد .. إننـا في خطـر .. إنـه الـشر الـذي لا يحكمـه منطـق سـوى الأذى .

توقفت آسيا عن التمتمة فجأة حينما اقتربا من الحشد، تركت آدم واقتربت أكثر فتعالت الصرخة، حذرها آدم من الاقتراب أكثر فلم تصغ له، يمكنك أن ترى نافورة من

الدما تتعالى في مشهد مقزز للغايه، وجسد مسجى يحيط به غوغاء غاضبون وصيحات يطلقونها كأصوات بدائيو غابات الأمازون، لا أعلم ما هي بالطبع، ولكن هذا الوصف يفي بالغرض، حينما رأت الفتاه الآلة الحاده وهي تكور الجزء السفلي للبطن تراجعت عن المشهد راجفة .

- إنهم يحاولون استخراج الأحشاء .

قالتها في ورع وهي تبتعد رفقة آدم حتى وصلا إلى موقف السيارات بالخارج، ركبت بجوار آدم ثم أشعل المحرك وانطلق كالمجنون، أصوات الإطارات تعوي مبتعدة عن المكان تاركة خلفها سحابة دخان كثيفه، وعيون هؤلاء الأشباح ترتسم عليها الدهشة .

- من هذا

كانت تريد سماع إجابة غير مألوفه، كانت تراقب شفتاه بعينان منفزعتان وفي داخلها التمني يزداد بأن يصبح كل هذا عبارة عن كابوس مفزع .

كررت مره أخرى :

- من هذا يا آدم

أشعل آدم لفافة تبغ وانتظر حتى تلامس النيكوتين مع جدران رئتيه فانتفض ثم أجابها :

- إنه أحد الأغنياء الذين أمسكوا به

- وماذا سيفعلون بأحشائه ؟ ولماذا الأحشاء يا آدم ؟

- أظنهم سيضعونها في المقلاه .. هذه وجبتهم الشهيه كما قلت لك .

***

كان متوتـرا ينتابـه قلـق مصحـوب بسـعال نتيجـة التهـاب مجـاري الهـواء في الرئتـين، أو بالأحـرى «الربـو»، بالطبـع كانـت هنـاك خشخشـه وصفـير خفيفـين عنـد التنفـس، إنـه التدخـين المفـرط وأنـواع التبـغ الرخيصـه التـي اعتـاد عليهـا .

في صمـت مصحـوب بصفـير كان يراقـب لوحـه خشـبيه منقـوش عليهـا اختصـار مـن ثلاثـة أحـرف **(s . r . n)**، وهـو علامــه تجاريــه لمجموعــه شركات يمتلكهــا مختــار النجــار، مـلّ الجلـوس وحيـدا فأشـعل لفافـة تبـغ ليهـدأ بهـا الـبركان بداخلـه، تراكمـت طبقـات الدخـان فتكونـت السـحب وبدأت الأحــلام ترتسـم، نصـف مليـون أخـرى سـتفي بالغـرض، سـوف يعالـج مـرض الربـو بطريقـه أفضـل ويبتـاع أنـواع التبـغ الجيـدة، الأحـلام التـي لا تنكـف عـن المجـئ، والأيـام دهاليـز شـحيحة الضـوء لـن تضـاء سـوى بالمـال .

يراقـب اللوحـه الخشـبية وينتظـر قـدوم مختـار النجـار فتغيب الأحــلام، تتصاعـد الأبخـره فتزعـزع أحشـاءه للخاطـره مـرة أخـرى فيسـتقبلها بتوتـر مصحـوب بسـعال، انفتـح البـاب ودخـل الرجـل النحيـف وقـد ارتفعـت كتفـاه الضيقتـان حتـى

كادتـا تلامســان أذنــه، يحمــل بــين الســبابة والوســطى لفافــة تبـغ مـن فئـة سـيجار، ويبـدو أنـه لا يتركهـا أبـدا .

- رفعت بيه، كنت أتوقع قدومك

خرجـت الكلـمات يكسـوها السـخريه مـن بـين شـفتي مختار النجار .

- في الحقيقه، جئت لأطمئنك أن كل شئ على ما يرام

كان باديـا عـلى وجـه رفعـت كل شـئ، يمكنـك أن تـرى لعابـه وهـو يسـيل عندمـا قـال جملتـه هـذه، لقـد تقمصـت الامـوال دورهـا جيـدا فتهشـمت حواجـز كثيره كانـت تخفـي الرغبـة، أنـت تجلـس أمـام فتـاة في غرفـة نومهـا وتتصبـب العـرق، لمـاذا تتصبـب العـرق إذا ؟ ولمـاذا العـرق مـن الأسـاس إن كنـت لا ترغـب في احتضانهـا .. تقبيلهـا .. إنـه حاجـز الرغبه الـذي يتحطـم أمـام كل الأشـياء التـي امتنيناهـا يومـا مـا، التوتر الـذي يفضحـك امامهـا هـو نفسـه امتـدادا للرغبـه الكامنـة بداخلـك، مـا إن شـعر مختـار بـكل هـذا حتـى قـال بجديـة :

- لنتحدث بما يعتمل في دواخلنا .. لنتحدث بجدية

سـاد الصمـت لدقيقتـين يفكـر فيهـما رفعـت الفـار في أي شـئ يقولـه، إنهـا الكلـمات التـي تضيـع كلـما كنـا في أمـس الحاجـة إليهـا، إنـه الصمـت المخيـف بـأن تنطـق أولا بعـد فـتره لا بـأس بهـا مـن القلـق، لقـد فُضـح أمـره وتهشـم الحاجـز فـماذا يقـول، إن التصنـع نفسـه يرفـض المقامـرة عـلى اللبـن المسـكوب .

- تريد نصف مليون أخرى ؟

تـرددت في الجنبـات كموسـيقى الـروك التـي تظهـر فجـأة بعـد لحظـات مـن الهـدوء .

- أنت أتيت إلى هنا من أجل نصف مليون أخرى

عـاد مختـار النجـار يقولهـا وقـد اكتسـبت نظراتـه صرامـة كاسـحة فتحـول رفعـت إلى فـأر .

- أرجـوك قـل لي إنـك أتيـت لأجـل هـذا، وإن ذكرتـك بالاتفـاق الـذي تـم بيننـا سـتتحول لهجتـك إلى تهديديـة .

يبـدو أنـه لـن يعالـج هـذا الربـو بطريقـه أفضـل، وسـيظل يبتـاع أنـواع التبـغ الرخيصـه التـي اعتـاد عليهـا، نصـف مليـون أخـرى سـتفي بالغـرض، الأحـلام لا تكـف عـن المجـئ،

والأيام دهاليز شحيحة الضوء لن تضاء سوى بالمال، لملم كل هذه التراهات وانتظر القدر وحده ليخرجه من هذا المكان .

- في الحقيقه أنت جئت لتطمئنني أن كل شئ على ما يرام، المدن الجديدة تعيش كابوسا بسبب الزحف الذين يقومون به هؤلاء الأوغاد، يتخطون السياج الشوكي بالزحف أسفله ثم يشنون هجماتهم من الخلف، وأنت جئت إلى هنا لأجل أن تخبرني أن كل شئ على ما يرام .

- إنها الأقراص، فقط لو امتنعوا عنها سيتوقفون عن الزحف .

- هم يريدون المياه أيها الشرطي، لذلك يأتون إلى المدن الجديدة، لكن لو امتنعوا عن الأقراص سيصبحون وحوش

وستتحول هذه المدن إلى بركه من الدم .

يمكنك أن ترتدي بذلة الشيطان متى شئت، هناك كارثة قادمة أنت الجزء الأهم فيها، منذ أن نما الغول بداخلك وهناك دينا هائلا من الدم على كاهلك، كنت تعلم أنك

ستطأ بعض الناس لتصل إلى ما أنت عليه، لتكون بذلة الشيطان لائقه عليك أكثر، أنت مررت بما مررت به لتصبح مختار النجار، لا تعلم متى ولا كيف ظهر الغول ونما، ولكن هناك جرح غائر في الأعماق لا يعلمه أحد، وجه آخر لا يظهر أبدا في المرآة، ثمة نهايه لكل شيئ والصدق كئيب مخيب للآمال لذلك لن تستخدمه أبدا، لن تعترف بالنهايه القادمة . ولكن البدله صارت تخنقك، والبركان بدأ يثور، وبالتأكيد رفعت الفار هو الضحيه القادمة .



- إنها النهايه، نهاية الكون، أو نهايتنا نحن كوطن .

صمت يخيم على أرجاء المكان .. يحاول عقله أن يتذكر المشهد كاملا للمرة المليون

- أورثتك مكانة اجتماعية، ومنزلا منعزلا عنا تماما لتعش راهبا عني وعن والدتك .. وفي النهاية !!

- إنها النهاية، نهاية الكو.....

اللكمة كانت قوية .. بحيث تفصد من أنفه خيط دم رفيع وعيناه تروحا وتجيء في الغرفه في محاوله لفهم ما حدث، فتح درج المكتب وتناول قرصا وراح يتذكر باقي المشهد

اللكمه كانت مؤلمه فانزلقت الكلمات راجفه :

- لقد قتلت أختي

لم يجسر الرجل قط على الحديث لدقيقتين، اقترب منه أكثر وراح يبرر ما قاله الفتى :

- أختك لم تمت بسبب العقار المخدر .. إنها....

سحبته آسيا للمدينه الفاضله التي يقضون فيها أوقات فراغهم القاتله، يجوبون مناكب المدينه ثم يعودون ليحللا ما حدث لهم، العالم يقئ قبحا في الخارج بينما استطاعوا هم أن يحتفظوا بتراثهم .

ما إن تجلس في المدينه الفاضله كعضو جديد فعليك البدء أولا، تحدث يا آدم ولا تكن ثرثاراً كاذباً .. ان آسيا لن تسمح بهذا علي الاطلاق :

- لقد كان لي أخت في يوم من الأيام، وقد ماتت بسبب الأقراص المخدرة .

حسنا يا هذا، أنت في المدينه الفاضلة وهناك القديس أوجسطين، لن يسمح لك بالكذب أبدا، هيا أكمل :

- أُدعى آدم، آدم مختار النجار

شهقت آسيا وانتفضت نشوى، ومحمود كاد أن يتقيأ من فرط المفاجأه .

- مختار النجار الرجل الذي يرتدي بذلة الشيطان .

قالتها نشوى وهي تمقت الكلمات نفسها .

- مختـار النجـار .. الرجـل الـذي يمتلـك كل شـئ، حتـى إنه يمتلكنا نحن .

قالهـا محمـود بطريقـه مقـززه فتحسـبه سـيتقيأ مـن نشـوة التمثيـل المبالـغ فيهـا .

إنهـا صدمـة .. مفاجـأة، كاصطـدام كويكـب بـالأرض، كاصطـدام طائـره بأخـرى، كان باديـا عـلى وجوههـم حقـا أثـر الصدمـة، وأن الرجـل ذات أهميـه كبـيره، إنـه يمتلـك كل شـئ حتـى إنـه يمتلكنـا نحـن .

أرجـوك !، قـل شـيئا غـير هـذا، قـل أن الكويكـب لـن يصطـدم بـالأرض، قـل إن الطائـره لـن تتحطـم إلى أشـلاء، إنهـا كميـة الطاقـه الناجمـه مـن أثـر التصـادم بأشـخاص بعينهـم .

مختـار النجـار الرجـل الـذي يرتـدي بذلـة الشـيطان، مختـار النجـار الرجـل القـادم مـن الفضـاء لاحتـلال هـذه المدينـة، مختـار النجـار الرجـل الـذي حـوّل الأقـراص المخـدره إلى دواء، مختـار النجـار الرجـل الـذي أفسـد المدينـه الفاضلـة، مختـار النجـار الرجـل الـذي قتـل فيلسـوف الفلاسـفه « سـقراط »، كل هـذه عناويـن كُتبـت ذات يـوم في جريدتهـم الالكترونيـة .

- صدقوني أنا لا أمت لأبي بصلة الآن، لقد تركت المنزل منذ أن توفت شقيقتي، إنه السبب في جعلي وحيدا، كما هو السبب الآن في كل شئ .

قالها آدم في قنوط .. قد ملَّ الحديث عن مختار النجار من أول مرة، لم يتحمل الحديث عنه ولو لدقائق أخرى، ما الذي فعله هذا الرجل ليترك هذه الآثار السحيقه، أن تمقتك الناس دون أن تراك فهذه نعمة يجب ألا تحسد عليها أبدا، إنه الفأر الذي يقرض كل شئ في منزلك وأنت لا تراه، ولكنك تعلم أنه هو، يتلف دولابك الخشبي ويمزق بفكيه ملابسك الشتويه، وأنت تعلم أنه هو .. فتظل تمقته مئة مرة في الدقيقه الواحدة، سوف يظهر بالتأكيد .. عندئذ ستفكر في حلولا شيطانية للفتك به، أنت لن ترحمه أبدا .

- العالم في خطر

لحظه يا نشوى، أرجوك لا تفاقمي الأمور لهذه الدرجه، لو أن العالم نفسه سمعك وأنت تقولين هذا لسخر منك، إنها مجموعه من المناطق النائية يناهز سكانها المئة ألف شخص

يلتـف مـن حولهـا مجموعـه مـن المـدن الجديـده وهـي المتـضرِّرة مـن كل هـذا، لـو كان هتلـر هنـا لأبـاد مجموعـة المناطـق النائيـة هـذه، ولسـوف يشـكره سـكان المـدن الجديـده ويتمنـون لـه حيـاة مديـدة .

تركـت نشـوى مختـار النجـار جانبـا وبـادرت تقـول مـن جديـد :

- العـالم في خطـر، إنهـم يزحفـون إلينـا كلـما نفـذت الميـاه لديهـم، يزحفـون كل حـين وآخـر، يزحفـون لأجـل كل شـئ

سـمعت أحدهـم يقـول إن الشرطـه أمسـكت بواحـد منهـم وهـو يتـوارى خلـف الجـدران .. كان يبحـث عـن فريسـة .. حتـى الشرطـه نفسـها خائفـة، الأخبـار تـتردد أنهـم سيشـنون هجومـا عـلى هـذه المناطـق في الأيـام القادمـة، لا أحـد يعلـم متـى بالظبـط، وسـكان المـدن الجديـده ينتظـرون .

قالت آسيا :

- سـوف يقتلعـون الجـذور مؤخـرا جـدا بعـد أن تشـبثت جيـدا في القـاع، نحـن نواجـه المشـكلات بعدمـا أصبحـت كـوارث، هـل تعلمـون أنـه يوجـد أنـاس يعيشـون معنـا

على هذه الأرض وفي هذه البلاد، وتحديدا في هذه المناطق النائية، هؤلاء الناس أصبحت لديهم غرائز أخرى، وطريقة عيش مختلفة عنا تماما، لقد رأيتهم وهم يستخرجون أحشاء واحد منا، كأننا السبب في كل ما مروا به من معاناه، وكأن العالم يحنوا علينا وفي المقابل يقسوا عليهم، نحن من صنعنا هذا كله منذ البدايه، عندما كانت لا توجد كارثه صنعنا سياجاً شوكيا ليكون حاجزا بين منازلنا ومنازلهم، كلما علا السياج علت معه العنصريه والتفرقة، علت معه طبقات من الغيره والحقد .

مع الوقت تحولت المشكله لكارثه، زادت المعاناة لديهم فشعروا أنهم ليسوا أحياء، فبدأو يزحفون إلينا .. يزحفون لأجل الماء . يزحفون لأجل الطعام .. يزحفون لأجل كل شئ لدينا ولا يمتلكوه .. بل إنهم أصبحوا يزحفون لأجل الانتقام، مع كل هذا، ومنذ بدأت المشكلة، عندما غزت المخدرات هذه المناطق، ثم بدأت تتصاعد وتحوَّلت حياتهم إلى جحيم بسبب الأقراص وسوء المعاملة وشظف العيش

ثم انتهت بكابوس يهدد الجميع، مع كل هذا، أين كان الوطن عندما تفاقمت الأمور .. وتحوَّلت المشكله إلى كارثه .

قال آدم :

- إنـه العقـاب الناجـم عـن تلـك الحماقـات التـي ارتكبهـا آباؤنـا إذا، هنـاك دَيْنـا هائـلا عـلى عواتقنـا ليـس لنـا ذنـب فيـه، تـرى لـو أحرقناهـم جميعـا لتعـش مدننـا في نعيـم، سـيزيد هـذا الديْـن أم سـيقل ؟ أعتقـد أن الديْـن يـزداد كل يـوم مـع حلـول الليـل فتضطـرم نيرانـه، حتـى يـأتي فجـر جديـد في يـوم مـا لتشـتعل النـيران فتحـرق الـكل، وليـس فقـط مـن كانـوا عـلى كواهلهـم دينـا في يـوم مـا .

إن المدينــه الفاضلــة لم ترتــقِ للطــور الــذي يؤهلهــا لأن تســتمر، عندمـا علـت فكرتهـا لم يكـترث لهـا أحـد بسـبب الحـروب، كانـت هنـاك حروبـا ودمـاء، كان يـمارس الإنسـان هوايتـه المفضلـة وهـي الذبـح، منـذ قديـم الأزل والإنسـان هـو

أحقـر شـيئ عـاش عـلى أرض هـذه الحيـاة، حـرق الغابـات وروّع الحيوانـات وصنـع آلـة ليقتـل بهـا كل شـئ يعـترض مدينتـه، كل مدينـه تدخـل في طـور البنـاء تكـون لهـا فضيلتهـا فبالتـالي تكـون لهـا الأحقيـه في البقـاء .

إن الأفق كان في يوم ما كالزبد الأبيض .. كان كاللبن .

ولكـن الإنسـان أفسـد كل شـئ عـلى هـذه الأرض، كل يـوم كانـت الدمـاء تعلـو كنافـوره متصلـه بأحشـاء الإنسـان نفسـه، علـت الدمـاء وتحـول لـون الأفـق للـون الـدم، مـارس الإنسـان مهنتـه المفضلـة وهـي الذبـح، ومـرت الأعـوام، وأصبـح الديْـن هائـلا عـلى عواتقنـا وليـس لنـا ذنـب فيـه .

***

في القبو

إنـه نيسـان، حيـث تجـف أوراق الأشـجار في الغابـات المظلمـه، تخـرج الأفاعـي مـن الجحـور حينـما تشـعر أن الصيف أتـى فجـأة، السـماء ممشـحه بالسـحب البيضـاء والشـمس تسـتجدي فتحـة صغـيرة لينفـذ منهـا الشـعاع الأصفـر الذهبي، إنـه النـور الـذي لا يـدوم طويـلا، الشـمس تنهمـك في صراعهـا مـع الغيـوم حتـى تنحـدر خلـف الجبـال، الشـمس هـي مـن تبـدد مخـاوف الليـل وهـا هـي قـد تركتـك وحيـدا، أودعتـك في القبـو تحـارب هـذه المخـاوف وسـط عتمـة الليـل وعتمـة النهـار، إنـك في القبـو لـن تـرى النـور أبـدا، ولسـوف تشـتاق إلى ذلـك البصيـص القـادم مـن أسـفل البـاب الحديـدي، لـن تـرى النـور أبـدا حتـى في أحلامـك، أحلامـك كلهـا سـتبقى في الظـلام تغلـق جفنـاك مـن أثـر الحقنـه المخـدره في عنقـك فتراهـم يحملونـك عـلى محفـة، يمشـون بـك في الظـلام وهـم يتخبطـون بـكل شـئ، يتحسسـون الـدرج لأسـفل حتـى يصلـون بـك إلى القبـو، صرت أنـت الضحيـة القادمـة وصـار الظـلام رفيقـك الأبـدي .

ثمـة ظلال تتحـرك قادمـة ناحيـة البـاب الحديـدي، والظلال ترقـص يمينـا ويسـارا، هـم شـخصان، عـلى الأرجـح هـم ثلاثـه، شـخصان يحمـلان محفـه مـن الخشـب وقـد وضـع عليها

الشخص الثالث، ها هو صوت المفتاح وهو يدور في الباب الحديدي، صرير الباب يعلو فيتدفق النور الشحيح لداخل القبو، الظلال تحوَّلت فجأة إلى شخصين واجمين ضخمين يحملان الرجل المسجى على المحفة، ألقياه من على المحفة داخل القبو فتكوّم على الأرض يتلوى يمينا ويسارا من شدة الألم، علا صرير الباب مرة أخرى ولكن هذه المره ليغلقاه، إنه الظلام وصراع العقل مع الشيطان، الجرعة المرعبة بدواخلنا ولا نقوى أبدا على نفضها بعيدا، العقاب الأبدي المزروع داخل أعماقنا، طوال حياتنا نستجدي الخلاص منه ولكن النهار لا يدوم طويلا، يأتي الليل دائما مصطحبا بالشيطان، ثمة عقاب في الليل لا بد منه، تتخطاه عندما يتمطى الليل متثاقلا، وتبدد الشمس الخيوط الزرقاء الواهنة، ولكنك في القبو، لن ترى النور أبدا حتى في أحلامك، أحلامك كلها ستبقى في الظلام .

كان يلهث ويسعل إثر وقع الارتطام، إثر كل لفافة تبغ نفثها في الهواء، إثر كل المعاناة التي مر بها في حياته البائسة، أثر الظلام الذي غطى تجاعيد وجهه المزيفه، لن ترى وجهك الشيطاني يا رفعت الفار مرة أخرى، شفتان منمقتان يعتليهما شارب كث وعينان نافذتان تشعان مكرا،

لا وقـت لوصـف ملامـح هـذا الأحمـق، في ظـلام القبـو لـن يهمـك أن يمتلـئ جلـدك بالقـروح أو البثـور، ولـن يهمـك كـم شـعره خـط الشـيب فيهـا .

زاد السـعال عندمـا أشـتم الرائحـه القـذرة التـي تخـرج مـن جـدران القبـو، يبـدو أنـك لـن تعالـج الربـو بطريقـه أفضـل، هـذا إن لم يقتلـك، ولحسـن حظـك يوجـد التبـغ هنـا، سـوف تمضغـه بالطبـع لأنـه لا توجـد قدّاحـة .

- أين أنا ؟

قالها وهو يرتجف، قالها وهو يبكي، قالها متلعثما،

ثم كررها مره أخري :

- أين أنا ؟

أجابه عبد الرحمان :

- أنت في القبو

- أي قبو، وماذا أفعل هنا ؟

- أنت هنا لأجل العقاب

ثم أكمل عبد الرحمان متسائلاً :

- ألا تتذكر شيئا

- لا أتذكر سوى الضوء، قرص الشمس، السماء الرحيمة، والأشجار، كنت أمشي في الشارع الموازي للمنزل، وبعدها، لم أدرِ بشئ .

لحظات من التأمل في أركان القبو المظلم، ثم صاح وهو يرتجف كأنه تذكر شيئا :

- مختار النجار، كل ما فعلته هو أنني طلبت المزيد من الأموال، الأموال هي سبب كل شئ .

لم ينس عبد الرحمان تلك الليلة أبدا، الرائحة العتيقة لطاجن الباميه باللحمه، لا شئ سوى اللحم، ولولا اللحم ما كانت هناك رائحة من الأساس، في هذه الأيام الحصول على أربع وجبات من اللحم في الشهر مهمة انتحارية، زوجته نيرمين كانت كإيزابيلا، كان يحسب أن حياته ستنتهي إن لم يحصل عليها، قطرات من رحيق شفتاها تُبخر يوماً شاقاً في السماء، وتجعلك تلعق نهرا من العسل، كانت متأنقة ترتدي الثوب الوردي، كم كان يعشق هذا اللون، لم يكترث بالطبع أنها لا تجيد عمل طاجن الباميه باللحم، وأنها لم ترتدي هذا الزي الوردي مطلقا، بل كانت تشمئز منه، لم يكترث لأي

شـئ لأن الحيـاه لا تعطيـك نيرمـين هـذه كل يـوم، فقـط سـيعبر لهــا عــما بداخلــه منــذ شــهر تقريبــا، ولتطلــب مــا تطلــب، وليحــترق العــالم مــن أجــل هــذه اللحظــه، بالطبــع أخبرتــه أن طاجــن الباميــه باللحــم هــذا لــن يتكــرر كثــيرا، لأن الأمــوال الــذي أخذهــا مــن مختــار النجــار شــارفت عــلى الانتهــاء .

كان يحسـب أن حياتـه سـتنتهي إن لم يحصل عليهـا .. وانتهت، صـار يلعـن نفسـه ويلعنهـا، لقد قبـل العيـش في القبـو لأجل أن تعيـش هـي خارجـه، لقـد انتهـت حياتـه حتـى بعـد الظفـر بها

- إن حياتنـا نفسـها قبـو مظلـم واسـع الأركان، كنـت أعتقد أننـي حـين أتخلى عـن جـزء صغـير منهـا لأجـل الجـزء الأكـبر ستسـتمر، ولكنهـا لم تسـتمر .

قالهــا عبــد الرحمــان وهــو يســاعد الرجــل المتكــوم أرضــا عــلى الاتــكاء للــوراء ليســتند عــلى جــدران القبــو، ظــل يســعل الرجــل أثــر قلــة التبــغ في جســده، لحســن حظــه يوجــد الكثــير مــن لفافــات البتــغ هنــا، أعطــاه عبــد الرحمــان واحــده فبــدأ يمضغهــا بشراهــه .

- يبدو أنك اعتدت على مضغ التبغ من قبل

- كنت أبتلعه أحيانا لأجل أن تمر الليالي

فكـر عبـد الرحمـن للحظـات في الظـلام فتذكـر مـا حـدث لـه فقـال شـاردا :

- أعتقد بسبب امرأه، إنها المعضله الحقيقية في حياتنا .

أجاب رفعت الفار :

- ليـس كـما تظـن، في الخـارج تحـدث كـوارث حقيقيـه، يـأتي الليـل فألـوم نفسي بأننـي كنـت جـزءًا منهـا، كنـت سـببًا فيهـا .

فكر عبد الرحمان قليلا في الكلمات وقال مستفهما :

- إنـه العقـاب الـذي لا يـأتي إلا في الليـل، أو عـلى الأرجـح في الظـلام، ولكـن .. مـا الـذي يـدور في الخـارج .

- إنـه شـظف العيـش ليـس إلا، الحيـاه نفسـها تجـبرك عـلى فعـل كل شـئ، هنـاك مناطـق نائيـة تحـول سـكانها إلى أشـباح، يزحفــون كل يــوم للمــدن الجديــده لأجــل المــاء والطعــام، ناهيـك عـن حـالات القتـل التـي تحـدث كل يـوم، كل هـذا بسـبب قـرص مخـدر لعـين، جعـل هـؤلاء الوحـوش نيامـا في وضـح النهـار .

- القرص هو السبب ؟

- نعـم، يطلقـون عليـه أحيانـا مورفـين، وأحيانـا ترامـادول، يطلقـون عليـه كل شـيئ، الاسـم التجـاري لـه هـو رأس الغـول

لا يكـف النـاس عـن ابتلاعـه، إن الأحمـق الـذي صنـع مكوناتـه لم يضـع لـه أي كنهـه

- لو أخبرتك لماذا لا يكفون عن توزيعه لهم، لقت لي

إن الكارثـه سـتصبح أشـنع، إن هـذا القـرص هو أقـوى مخدر مانـع لـلألم، إنـه يسـاعدهم على المـضي قدمـا في حياتهم البائسـة .

- من أنت ؟ ولماذا جئت إلى هنا ؟

قالهـا رفعـت الفـار والدهشـه ترتسـم اعـلي فمـه المـوارب في الظـلام :

- أنا الأحمق الذي صنعته .

- لنقل أنك أنت، ولماذا جئت إلى هنا ؟

- لأن الحياه تعطيك فرصة واحدة، وأنا طلبت اثنين .

- لا وقت للألغاز، لقد سئمت منها .

- ......

بحث رفعت في الظلام عن ثغره تكشف له النور، في لحظه ما وهو يتأمل الظلام خرجت سعله قد ذبحت علي اثرها صدره، تنفس الظلام الدامس فاختنق حد البكاء وثرثر مجدداً :

- شرطي قضى معظم أوقاته في البحث عن إجابة للغز، يفر المجرم ويترك القضيه كلها على عاتقي، ولا بد من إجابة للغز، لأنك أنت من أضنيت حياتك لأجل هذا، يا لها من حياه تعسة، لم أستطع أن أجد إجابة للغز المتعلق بحياتي، كنت أمارس عملي كشرطي وأتقمص الدور جيدا، أحيانا كتفاك يؤلمانك لأنهما يظلان مشدودان لأعلى، ولا تستطيع أن تنحني لإراحتهما، لا تستطيع أبدا .

أنت تتقمص كل شئ، تتقمص الأدوار بشكل جيد، صدرك المشدود لأعلى يدل على أنك قوي البنية، ولكنك لا تعاني أبدا من أمراض مثل الربو، التقمص هو من يصنع حاجز الهيبه الذي يحميك، ولكنه ينهار بسهوله جمة إذا انحنى ظهرك أثر سعله مفاجِئه .

صـارت الحيـاه عنـد رفعـت الفـار أقـذر مـن لفافـة التبـغ الـذي يمضغهـا الآن، صـارت كتلـك الرائحـة الكريهـة التـي تنبعـث مـن جـدران القبـو .

أخـذ رفعـت يعتـدل في جلسـته ويلـوح بيديـه في الظـلام ثـم قـال فجـأة :

- هنـاك صـوت شـخير قـادم مـن الركـن الأيـسر، يبـدو أننـا لسـنا وحيديـن هنا .

- هـذا خالـد، حياتـه شـارفت عـلى الانتهـاء، ينتظـر المـوت كـي يتخلـص مـن الظـلام، لا يهـم إن كان هنـاك عقـاب أم لا،

ولكنـه سـيكون أخـف وطـأة مـن هـذا العقـاب، وهنـاك أيضـا كـمال يسـتلقي بجـواره، كان شرطـي في يـوم مـن الأيـام، ولم يعـد كذلـك، يقولـون إن أشـخاصًا كثيريـن قـد ماتـوا هنـا في هـذا القبـو، يبـدو أن ضحايـا مختـار النجـار كُثـر .



وسط الصخور لا يمكن للإنسان أن يتوقف ويفكر

فالعرق جف والأقدام غاصت في الرمال

لو كان هناك ماء فحسب وسط الصخور

فوهة الجبل الميت بأسنانها النخرة لا تملك

أن تبصق

هنا لا يمكن للإنسان أن يقف أو يرقد أو يجلس

حتي السكون هجر الجبال

لم يبق سوى وجوه عابسة تتمزج الغضب

بالسخريه المرة

خلف أبواب دور تشقق جدرانها

لو كان هناك ماء

ولا صخور

لو كانت هناك صخور

وكذلك ماء

ينبوع ماء

بركه وسط الصخور

لو كان هناك صوت الماء فحسب

وليست السايكادا

وانزيز العشب الجاف

بل خرير ماء فوق الصخرة

حيث يصدح طائر مغرد وسط أشجار الصنوبر

دريب دروب دروب دروب دروب

ولكن لا ماء ..

من قصيدة أرض الضياع

إنهـا الأرض التـي ابتلعـت أرواحنـا، فـما عـاد لنـا عـلى وجههـا حيـاه، جفـت المياه بالتحديـد في بعـض المناطـق النائية، ولم تعـد هنـاك أسـاليب لممارسـة الحيـاه كأشـخاص عاديـين، رأس الغـول كان غاضبـا جـدا لأنـه لم يكـترث لمتطلباتهـم أحـد للمـره المئـة، ككل المناطـق النائيـة لهـا الفتـوه الخـاص بهـا ورأس الغـول كان يمثـل هـذا العمـل الشـاق، لقـد تحـول اسـمه مؤخـرا إلى علامـة تجاريـة يبتـاع بهـا النـاس الأقـراص، هـؤلاء الموتـى الذيـن يسـكنون الأحيـاء النائيـة كانـوا كالأشـباح حقـا، الأظافـر الطويلـة المحشـوة بالمـواد السـوداء، إنـه السـم نفسـه، تقلصـت وجوههـم مـن قلـة المـاء والطعـام، فالتصقـت طبقـة الجلـد الشـاحبة الرقيقـة بعظامهـم، التشـوهات واضحـه جليـة عـلى جلودهـم، إنهـا أظفارهـم بالتأكيـد وهـي تنبـش في اللحـم، كأنهـا حالـه هسـتيرية متقدمـة، عيونهـم زائغـة كعيـون ذئـب يبحـث عـن فريسـة، وفريسـتهم بالتأكيـد هـي أحـد الأغنيـاء.

يمكنـك أن تفتـح صنبـور ميـاه فتسـمع الخريـر المنتظـم، كخريـر حيـوان مذبـوح يسـتجدي الهـواء، مـن الواضـح أنـه لا توجـد لديهـم ميـاه، كانـت حياتهـم كذلـك .. كانـت حياتهـم أصعـب مـن ذلـك .

الغريب أن رأس الغول نفسه لم يكن يشبههم، كان يشبه سكان المدن الجديده كأنه يشرب المياه ويأكل شرائح اللحم المشويه، ذات مره وقف رأس الغول على ربوة مرتفعة من الأسمنت، نادى شعبه بصوت رخيم فالتف الناس من حوله كأنه أحد الأباطرة العظماء، إنه أحد الآله المتجسدة في صورة بشري بالطبع، بالتأكيد لأنه لم يتأثر بشظف العيش مثلهم، ولم يتيبس جلده من قلة المياه مثلهم .

حين التف الناس من حوله صاح بلهجه تحذيريه :

- سوف يأتون إلى هنا، ليمنعوننا من الزحف، ولن نكف عن الزحف أبدا .

قال أحدهم :

- الزحف يعني الحياه .

رد آخر :

- سوف نحارب للنهايه .

إن أكوام الحطب مكومة تنتظر شعلة وتلتهب، ولكن كيف يحارب هؤلاء، أظن أنه نوع من التراجيديا، أحداث دراميه حزينه ولكن النهايه مؤسفه للغايه، سوف يكون هناك ضحايا .. وأحشاء مقتلعة جاهزه للقلي .

إنهـا ذروة الكفـر وذروة المجـون، النـاس يتحدثـون عـن الشـيطان، يقولـون إن الشـياطين تجـوس أرضهـم ليـلا فيأكلون ويشربـون، وفئـة أخـرى يتهمـون رأس الغـول بـكل شـئ، وفئـة ثالثـه بـدأت بالفعـل بالانتحـار، أن تظـل بـدون متطلبـات الحيـاه سـبعة أيـام متتاليـة .. فالانتحـار لا يعنـي لمعاناتـك شـيئا

في إحـدى الليـالي التـي اشـتد فيهـا الظمـأ خـرج أحدهـم وبـدأ يـصرخ :

- رأس الغول خائن، رأس الغول هو من يسرق المياه .

في اليـوم التـالي وجـدوا الجثـه هامـده مـع الحـرص عـلى اقتـلاع أحشـاؤها بالطبـع .

تري كيف ستكون نهاية العالم لو جفت المياه ؟

سيكون هناك تقرير في احدي القنوات العالميه المعروفه

يتحدث عن كارثه ستحدث، الشريط الأحمر يظهر على

الشاشـه والكلـمات كتبـت بالخـط الأسـود، كتبـت بخـط يملـؤه الحـزن والأسـى، «إن العـالم سـينتهي بعـد مئـة عـام مـن الآن«

تظهـر المذيعـه بعـد أن هندمـت ياقتهـا الملتويـه مـن آثـار الحـزن، بعـض التصنـع يضفـي عـلى العيـون المراقبـه الـورع والحـزن، تبـدأ في الحديـث والعـالم كلـه يسـتمع :

«أثبتـت بعـض التقاريـر أن هنـاك مقاطعتـان في الولايـات المتحـده قـد جفـت فيهـما الميـاه، وهـذا يشـير إلى أن منسـوب الميـاه سـيقل في إحـدى المقاطعـات الأخـرى، ومـن ثـم سـتحدث حـالات مـن عـدم التـوازن«

اختفـت المذيعـه مـن التلفـاز فشـهق الجميـع، هنـاك حـالات مـن الهـرج الممـزوج بالرعـب، وهنـاك حـالات إغـماء مـن فرط

التخيـل، أن تعيـش بـدون ميـاه أمـر أشـبه بالمـوت الإكلينيكـي، سـتموت حتـما .. سـتموت لا محالـة .

ثمـة فـزع يجـوب البـلاد بعـد تقريـر قدّمتـه وكالـة الفضـاء الأمريكيـه «ناسـا«، إن جفـاف الميـاه يـضرب ولايـة كاليفورنيا، هنـاك خطـر قـادم إذا بعـد أن أعلنـت التقاريـر نفسـها عـن

انخفـاض احتياطـي ميـاه البرازيـل، وأنـه في جـزر المالديـف هاجـم سـكان العاصمـه «ماليـه« المحـلات التـي تبيـع الميـاه المعدنيـه .

حسنا، مشكلة الزحف في تزايد .. الناس يزحفون لأجل المياه، والعالم لن يهدأ بالطبع، ستكون هناك نزاعات وحروب عسكرية لأجل المياه، وستكون هناك تحويلات لمجاري الأنهار، وسيكون هناك ضحايا والمزيد من الأحشاء المقتلعة الجاهزه للقلي .

صورة الإنسان البدائي بخرقته المهترئة التي تغطي عورته كانت رائعة حقا، كانت تبعث الهدوء في النفس عندما تراها، إنها اللحظه المناسبه لتذكير الناس كيف بدأوا .

لقد نشرت قناة «**CNN**» الأمريكيه من مقرها واشنطن صورة لإنسان بدائي بملابسه الأنيقة وهي خرقة مهترئة تغطي عورته، ناهيك عن أن الصورة نفسها كانت للمثل الاسترالي «**daniel goddard**» صاحب سلسلة «**beast master**» المعروفة .

الإنسان البدائي هو الذي بدا كل شئ، حلم بالمدينه الفاضلة دون أن يعي بمخاطرها، ولكن لا وقت لهذا، فكرة الإنسان البدائي كانت محاوله خرقاء لحث سكان العالم على البدء من جديد، ولكن ؟ أين هي البداية ؟ وكيف نبدأ ؟

لا أحد يعلم .. الشخص نفسه الذي ابتكر هذه المحاولة كان مرتبكا لا يستطيع التفكير، إنه أمرا مضحكا فجّا،

الشعارات الوطنيه بدأت بالفعل، هناك من يقول « دعنا نحافظ على العالم بطريقة ما » ولكن .. ما هي الطريقة أيها الأحمق، إذا كان هناك تشويشا جماعيا قد حدث، الكل يعلم كم الصعوبات الجمه التي تنتظرهم، وثمة فزع حقيقي كان باديا على الجميع .

كما قلنا .. إن أكوام الحطب تنتظر شعلة وتلتهب، ورأس الغول لن يفوته هذا الأمر بالتأكيد .

- إنهم قادمون نحونا .

قالها في قنوط .

- إنهم يريدون منعنا من ممارسة الحياة .

قالها في ملل .

- لن يمنعوننا عن الزحف أبدا .

قالها في نفاذ صبر، لقد مهدت الثوره الحقيقيه في صدره منذ أعوام، ولكن الناس هنا يصغون له .. إنهم بلهاء .. يحسبون أن في فمه قولة الحق، الضعفاء في كل بقاع الأرض يبحثون عن شخص يحكمهم، شخص يسرقهم عنوة ؛ لأنهم هم من اختاروا ذلك .

إنهم خائري العزم يعيشون حياتهم كلها وهم يصغون لرأس الغول، ثم يموتوت ميتة شنيعة على يد الديكتاتور الذين اختاروه، رأس الغول كان مناسبا جدا لهم، لقد اكتسب طابعا عاما من القسوه والخشونة بسبب ضعفهم، في الطور الحالي من حياته كان يعيش بخلجات حاكم يرى الدنيا من منظور آخر، لقد تحرر الوحش الغافي وهو يرقد بينهم فجأة، فلم يرَ فيهم ما ينفر أو يخيف، كانوا يبدون له في أبهى حالات الفقر، كانوا يبدون له في أبهى حالات الوهن، عندما نما الغول بداخله وبدأت مخالبه الطويلة يسكن أسفلها الشيطان اصطدم بمختار النجار، كان الصدام مخيفا جدا ولكن كما يحدث دائما .. انتصر الأقوى .. انتصر المال بالطبع .

هكذا يولد الشر، وهكذا يستطيع الشيطان نفسه أن يجوس الأرض ليلا .. يسرق الطعام ويشرب المياه ويضاجع النساء، ولا أحد يكترث على الإطلاق .

***

بدأ النهار يزحف ولون الدم في الأفق يشعرك بأشياء كثيرة، اللون القرمزي الأسطوري بدأ يتسلل لدواخلنا، فاصطبغ اللونين معا .. يمكنك أن ترى حياة البعض كستها طابعا مخيفا، إنه الظلام الذي بدأ يقترب ليس إلا، إنه الظلام وصراع العقل مع الشيطان، الجرعه المرعبة بدواخلنا ولا نقوى على نفضها بعيدا، العقاب الأبدي المزروع داخل أعماقنا، طوال حياتنا نستجدي الخلاص منه، ولكن النهار لا يدوم طويلا .

سيارات الشرطه تعوي في كل مكان .. لقد جاءوا إذا، هؤلاء الوحوش الذين يسكنون المناطق النائية هذه قد اعتادو على الظلام، يمكنك أن ترى الرعب البادي على وجوه الجنود المتراصة كطابور مدرسة، الجنود هم من كانوا خائفون، تبا، لقد قرأو كثيرا عن هؤلاء القوم وما سمعوه كان أشنع، ان وجبتهم المفضلة هي الأحشاء، يقتلعون

أحشاء أي شئ ويضعونه في المقلاة، أحد الأغنياء الذي استطاع الفرار منهم قصَّ على الناس كل شئ، بالطبع لم يكتفي الأمر إلى هذا الحد، الجرائد الصفراء بالغت في الأمر، وأصحاب المواقع الالكترونيه نشرت ما قصّه الناجي .. كان تقريرا مفصلا بعنوان « آكلي لحوم البشر «

كل هـذه أشـياء تلتمـع وتغيـب في أذهـان الجنـود في لحظـات مـن ظـلام الليـل .

يمكنـك أن تسـكب البنزين على أكوام الحطب الآن لتشـتعل، لكـن أيـن هـو رأس الغـول ؟ أظنـه يراقـب المشـهد مـن الأعلى .

تقدّمـت سـيارات الشرطـه في تهيـب .. في توجـس، وفي داخلهـا جنـود القناصـة، ثـم تبعهـا باقـي الجنـود سـيرا عـلى الأقـدام، إنهـم خائفـون، أحدهـم يسـمع شـهقات الآخـر وأمعـاءه تتقلـص في رعـب، لـن تكسـب المعركـه أبـدا وأنـت خائـف هكـذا .

توغلوا أكثر في الشارع الرئيسي الأكثر أمانا على الإطلاق

أن تدخل الحارات والأزقة يعني أنك مجنون، في الحالتين

أنـت خائـف .. وهـذا يؤكـد أنـك لسـت الرابـح في هـذه المعركـة قائـد الحملـة كان يُدعـى عبـد القـادر، يمسـك الميكروفـون في يـده اليـسرى ويصيـح مذعـورا :

- جئنـا لأجل مسـاعدتكم، فليخـرج أحدكم لنتحـدث معه .

هـذا هو الخـرق بعينـه .. الهزليـه بعينهـا .. الكوميديـا في أبهى حالاتهـا، تذهـب إلى عـدوك بـدون أي خطـه محكمـه ومـن ثـم

تمسك ميكروفون بيدك وتنادي كالأراجوز، بالطبع ستلقى حتفك .

إنهم يمزحون .. لقد جاءوا ليلا لأن هؤلاء القوم لا يظهرون إلا ليلا، لقد جاءوا يحاربون أشخاصا لا يبالون بالموت، لقد جاءوا لأجل الشيطان نفسه .

الشوارع فارغه من القوم والسكون يطبق على المكان، هذا يعني أن ثمة بركان سينفجر خلال لحظات، كرر عبد القادر جملته فظهر أحدهم فجأة يركض تجاهه، لقد كان مخيفا كالشيطان .. لقد كان سريعا كالبرق، انطلقت الرصاصات في كل صوب إلا المكان نفسه الذي يركض

فيه الشيطان، إنهم خائفون وهذا بادئ على الطلقات التي انتشرت في الهواء دون أن تصيبه، اقترب من عبد القادر أكثر فشهق الرجل وعاد إلى الوراء مسرعا، أخرج مسدسه وصوبه ناحية هذا الشيطان .. ثم أخرج الرصاصات سريعا فاستقرت اثنتين في أحشائه، لم يكتفِ الجنود برصاصتين بعد أن همدت ثورته ومزقوه تمزيقا حتى تكوّم أرضا، انتشر الجنود في المكان وأخذوا ساترا من كل شئ، في الوقت نفسه تقاذفت من الأعلى زجاجات تنفجر كلما استقرت على أي

شـئ، إنهـا زجاجـات مملـوءه بالبنزيـن وبهـا فتيـل قـد أشـعلوه بالطبـع، إنهـا تمطـر نـاراً مـن الأعـلى، كانـت الزجاجـات تسـتقر عـلى رؤس الجنـود فتنفجـر كأنبوبـة غـاز .. هنـاك حـالات إغـماء مـن فـرط الهلـع وآثـار النـار المضطرمـه في أجسـادهم، وهنـاك أحدهـم يصيـح :

- لقد خطفوا أحد الجنود .

النـار اضطرمـت في كل شـئ وسـيارات الشرطـه تحـترق، لـو ظـل عبـد القـادر دقيقـة واحـدة أخـرى سـيهلك هـو ومـن تبقـى معـه

لقـد قـرر الانسـحاب إبـان تهـاوي الجنـود أرضـا، لقـد قـرر الانسـحاب عندمـا رأى جثـة الجنـدي المختطـف وهـي تهـوي فوقهـم مـن الأعـلى، لقـد اسـتقرت عـلى السـطح الأمامـي لأحـد السـيارات المشـتعلة بالنـيران .

إن معدته فارغه، لقد اقتلعوا أحشاءه .. إنه بدون أحشاء

هـذه علامـة وتحذيـر لـكل مـن يقـترب مـرة أخـرى، لقـد قـرر عبـد القـادر أن يتراجـع، ولكـن الدمـاء في كل مـكان، بعـض الجنـود يلتفـون حـول جنـدي آخـر غارقـا في دمائـه، تقـدّم عبـد القـادر حتـى جثـا عـلى ركبتيـه بالقـرب منـه .

- لقد قاومت أحدهم .. كان كالشيطان

قالها الجندي بلسان منعقد، قالها والعينان تغوران والرأس تتحرك في ضيق تطلب هواء يستعصي، يبدو أنه يريد التحدث مرة أخرى .. هناك المزيد :

- لقد بعث معي برسالة !!

كان الجندي يضغط على الحروف .. كان يقاوم الموت، ولكنه قرر أن يلفظ آخر كلماته ليحذر ويرهب الجميع :

- لن يكفوا عن الزحف لأجل المياه .

ابكوا بدمع ثخين لأجل الروح التي تخرج الآن في صخب متحشرج، تستبقيها نظرات العيون ولا تقدر على فعل شيئ سوى البكاء .



إنها القشة التي قصمت ظهر البعير، الشرارة التي أحرقت البعير نفسه، كُنا لِماما وبيد أننا سنزول .. لا بد من طريقة للنجاه .. لا بد من طريقة للفرار، يبدو أن البركان قد ثار والحِمم انتصرت على خمودها طوال هذه الأعوام .

- لن يكفوا عن الزحف لأجل المياه .

ما زالت تتردد في الجنبات .. لقد انتصروا، المدن الجديدة في حالة فزع، انتشر الخبر كغيمه قاتمه تجوب سماء المدينه .. الكل يراها .. سوف تمطر حتما .. سوف تمطر بالتأكيد، إنه الفزع نفسه الذي انتشر بين سكان ترانسلفانيا قديما لمعتقداتهم حول دراكولا .

كان الصخب مرتفعا .. والصيحات تكاد تلامس السماء، ألحان الجاز الشكسبهيريه قد افتعلت الجنون نفسه داخل

الأعماق، الكل في حالة نشوة وسكر أثر التبغ والأقراص وموسيقى الميتال التي ترتفع في لحظات وتختفي .

في إحدى الديسكوهات في المدن الجديده كان يرقد دراكولا نفسه .. كان يرقد ابن الشيطان، خبر زحف سكان المناطق النائيه قد انتشر بطريقه تجعلك تفكر مليا

في الانتحـار إن كنـت مـن سـكان المناطـق الجديـده، الشـباب هنـا استقبلوا الخـبر بطريقـة أخـرى، إنهـم هائجـون كثـيران في حـرب السـاحه في « لامونيومنتـال » في « مكسـيكو سـيتي »، لا شـيئ في ذهونهـم سـوى القـرص التـالي .. والرقصـه التاليـة .. والموسـيقى التاليـة .

- فلنمت هنا يا رفاق

- لن نمت على يد أولاد الزناديق هؤلاء

- إنهم جوعى ولن نعطيهم طعامنا

- اسكبوا لي المزيـد مـن الكحـول .. أريـد أن أنتشي .. أريـد أن أمـوت هنـا .

تعالـت القهقهـات وانتـشرت مسـحة عـلى وجوههـم تكسـوها السـخريه .

- سـوف يزحفـون عـلى بطونهـم كالحيوانـات .. سـوف يلعقـون الـتراب وهـم يزحفـون إلينـا .

كانـت المزحـه أشـد تأثـيرا هـذه المـرة، كانـت أشـد عمقـا أيضـا فصـاح أحدهـم مـره أخـرى :

- المزيد من الموسيقى .. هيا يا رفاق

موسيقى الميتال المرعبة كانت هي النشوة الحقيقية . صوت الجيتار القوي كان عالي التشويش على آذانهم، إنهم يعبدون الدرامز والباس جيتار، إنها الحياه بالنسبه لهم .

موسيقى الميتال ترتفع في لحظات وتختفي بينما يمشي مختار النجار في الممر الخلفي والأفكار تتصارع في ذهنه

حلم المدينة الفاضلة بات مهددا بالانهيار، الأمور تتفاقم سوءا والضحايا كُثر، كان يحلم بمدينة يحكمها الشيطان، وكانت تحدوه رغبات ملحة في التواصل .

لحقه مايكل بحركاته الاستعراضيه إلى غرفة المراقبة، ما إن كفت يداه عن الترنح في الهواء وانهدلتا لأسفل حتى

استقر جسده، تمتم ببعض كلمات الاستياء لما يحدث ولكن بنفس حركاته الخليعة، يبدو أن القلق قد نال منه في معظم أوقاته ففكر مليا فيما سيقول، مايكل كان يشبه مايكل جاكسون في كل شئ عدا جنسيته، خصلات شعره كانت طويلة متفرقة ومتراصة كالحبال، له سوالف طويلة مبعثرة، أنفه طويل مدبب كمنقار الخشب وعيناه واسعتان قاتمتان من آثار الكحل النسائي، إن حرك ذراعيه بين العامة بنفس هذه الطريقه لكان هذا فعل فاضح ومشين، لكن الشباب بالأسفل يتمتعون بهذه الحركات التي تصدر

منه، يبدو أنهم ملّوا سيقان البامبو اللاتي ترقدن بجوارهم .

- كنا نريد مدينه نائمة . مدينة حالمة .. مدينة يحكمها الأقراص .

مختار النجار يتحدث بلهجة يصبغها الندم، الأحلام التي لم تتحقق، والكوارث التي تصاحب انفجار بركان ضخم قد ثارت حممه، تلتف من حوله مدينه بها عدد جم من البشر، أما مايكل فسوف يتحدث عن الزحف والأحشاء، عن كل ما يهم سكان المدن الجديدة

- الشرطة ....

قالها مايكل وتلعثم بعدها وضاعت الكلمات، استجمع قواه مرة أخرى وتابع :

- الشرطه لم تقدر على فعل شئ، الشرطه نفسها كانت خائفه والناس يتحدثون عن كارثه .. عن خطر قادم .. عن زحف لا بد منه .

قال مختار النجار في عدم اهتمام :

- إن حماية المدينة مهمتهم وسوف نتركها لهم .

- ولكـن هنـاك ضحايـا، إنهـم يقتنصوننـا مثـل الغـزلان، أصبحنـا نعيـش داخـل الغابـة

- عليـك أن تطـأ البعـض تحـت قدميـك إن كنـت في مكانـة تحسـد عليهـا، إن هـذا العـالم يحكمـه الجشـع، وإن لم تكـن جشـعا لـن تكـون قويـا، وهـذا هـو الفـارق بـين الغنـي والفقير، إن الفقـراء يتسـمون بنبـل أخلاقهـم .. وعلاقتهـم القويـه بالإلـه، إنهـم رحمـاء جـدا، إن رأوا أحـدا يتـضرع جوعـا لبكـوا مـن فـرط الرحمـه بداخلهـم، هـذه أكـبر مزحـة في التاريـخ .. أن تكـون ضعيفـا، فهـذا يعنـي أنـك االضحيـة القادمـة، أنـت

ضحيـة كل شـئ، ضحيـة سـطوة المجتمـع ونفـوذه، بـل إنك خلقـت لأجـل تحقيـق هـذه النفـوذ، يخـرج ابـن الغنـي بمركبتـه الفضائيـة ليتجـول ليـلا وبجـواره فتـاةً ذات طـراز أوروبي .

يتجـرع الأقـراص فيجـن الجنـون بداخلـه، يدهـس بقدمـه عـلى الدواسـة ليدهـس أحـد الفقـراء الذيـن يمشـون حافـين عـلى الأسـفلت، ومـن قـال لـك أن تمـشي حافيـا هنـا أصـلا، ثـم يتملـص وسـط السـيارات ليفـر دون أن يجـده أحـدا، لـولا هـذا الفقـير لمـا اسـتمتع هـذا الغنـي، إن وجودهـم في المجتمـع كوجـود مطفـأة التبـغ ولم يعـد يعنينـا أن يُدهـس واحـدا منهـم تحـت إطـارات مركباتنـا الفاخـرة، أو يقتـل المئـات منهـم في

حادثـة قطـار غـير مؤمـن بالمـرة، ولكـن مـا يعنينـا أن يكونـوا أحيـاء عـلى سـطح هـذه الأرض، وجودهـم شـئ مهـم بالنسـبه لنـا، فلولاهـم لمـا وجـد ابنـي واحـدا يدهسـه عندمـا يشـتهي القتـل، ولا واحـدا ليطفـئ في مؤخرتـه لفافـة التبـغ عندمـا تشـارف عـلى الانتهـاء .

مايـكل كان يعشـق جسـده عندمـا يترنـح بطريقـة اسـتعراضيه، أنـت مـررت بـما مـررت بـه لتصبـح مايـكل، عندمـا تكمـن الظـروف لـك في الظـلام وتقـترب منـك شـيئا فشـيئا لسـوء الحـظ وأنـت في السـابعة مـن عمـرك تحـرش بـك أحـد طـلاب الطابـق الثـاني .. وهـم طـلاب الإعداديـة .. شـاعت حادثـة التحـرش بـك فأثـرت فيـك سـلبا، لم تكـن تعلـم أن مـرض التوحـد الـذي عانيـت منـه سـيؤدي بـك إلى التهلكـة، لم تسـتطع أن تخـبر أحـدا، ولكـن طـلاب المدرسـة كلهـا قـد علمـوا بقصتـك أنـت لم تسـتطع أن تدافـع عـن نفسـك عندمـا اشـمئزت منـك الفتيـات، الـكل يعلـم مـن أنـت ومـاذا فعلـت، تكـررت الحادثـه فـصرت تعـوي وحيـدا في المنـزل .. ولا أحـد يسـمعك، لا أحـد يكـترث بـك عـلى الإطـلاق .

صار جسدك يترنح بحركات خليعة فبدأت تجد في الأمر لذة، حتى أنك ذات ليله تمنيت لو تتبدل الهرمونات لساعة واحدة، هناك في الظلام كانت تكمن لك الظروف وتقترب منك شيئا فشيئا، أنت لم تكن ضحية ضعفك أبدا بل كنت ضحية مجتمع بأكمله .

لم تترك كلمات مختار النجار أثرا بداخلك بسبب ما مررت به يوما بعد يوم، أومأت له برأسك وأنت تبحث بين الركام عن كلمة واحدة تدل على إنك ما زلت حيا، ولكنك فكرت في أن تكون قويا تطأ بقدميك كل الأوغاد الذين تعرفهم جيدا، ظللت تفكر بجديه في أن تصبح مختار النجار نفسه .

قاطع مختار النجار تفكير مايكل وقال في وقار :

- نعم .. أعرف ما تشعر به، هذا البهاء كله ليس من حق الفقراء، ولن يكون ذات فائده إن حدث هذا في يوم ما، إن هذا العالم كله ملك لنا، ولن نفرط فيه بسبب صرخة أحدهم وهو يتلوى من فرط الجوع .

***

ذوائب الشمس تتسلل من النافذه إلى اللوحة المعلقة، أسفل اللوحه كوميد متوسط الحجم يرتص فوق سطحه مجموعة لا بأس بها من الكتب، في الركن الأيسر هناك لوحه لغاندي قد بثت فيه العزيمه على القراءة، في الجهه المقابلة للوحة يوجد ديوان قديم يحمل طابعا بائسا .

آدم كان وحيدا ولم يجد من وحدته سوى الشقاء، الكتب جعلته يتيقن أن الحرية هي نفسها السجن، الحريه تعني أن تكون « كنيلسون مانديلا «وسبعة وعشرون عاما من الوحدة في السجون أولها في جزيرة «روبن آيلاند «

مانديلا الذي قضى أعواما يناضل في قضية الفصل بين العنصريه، ما هذا الهراء الذي تفشى في العالم كله، ما الجرم في أن تتحدث عن الحريه .. دون أن تلقي مصير مانديلا .. ودون أن تكون بعدها نسيا منسيا .

اللوحه المعلقه أمام النافذه كانت ترسم صوره من الواقع، كانت تعني له أعواما من الانتظار، لقد انتظر فتره لا محيص عنها حتى تكتمل، لقد كان مولعا بالرسم حتى فتحت آسيا نافذتها، لم يكن يعلم البته أنه سيجد الوطن الحقيقي في عيونها القويه، في خصلات شعرها التي تفوح منه رائحة الورد، ناهيك عن رغبته الجامحه في امتلاكها،

ولكنـه علـم أنهـا امـرأة قويـة الشـكيمة قويـة المحتـد، باسـلة متمـردة ذات كبريـاء، تعلـم أن العـالم كلـه يريدهـا فزادهـا هـذا قـوه فـوق قوتهـا، والأهـم أنهـا لم تمقتـه كـما مقتـت محمـود سـامح البنهـاوي وباقـي الرجـال .

- أرجـوك، كفـى يـا آدم، لمـاذا أحضرتنـي إلى هـذه الغرفـة النتنـة الرائحـة .

قالتهـا آسـيا بعـد أن وصلـت التنهديـات حـد السـماء .. وجبينـه تنـدى كأوراق الأشـجار في فصـل الشـتاء في ليلـة قاسـية الـبروده، لم تكـن هنـاك سـوى إجابـة واحـدة :

- أنا أحبك .. فلنتزوج .. فلنعش معا إلى الأبد .

قالها آدم وهو يقترب .. قالها وهو يلهث .. قالها وقد

اشـتدت الرغبـة وعـلا الأنـين بداخلـه، اقـترب أكثـر فلـم يجـد ردة فعـل .. كانـت ضجـرة .. كانـت متعبـة .. ولكنهـا لم تكـن خائفـة .

هـي لم تفهـم لمـاذا لا تقـاوم، لا تـصرخ، لا تسـتغيث، إنـه الشـوق والرغبـه حينـما يجتمعـان في جسـدان مشـتعلان، ناهيـك عـن أنهـما يعشـقان بعضهـما البعض، لقـد أعجبـت الفتاه بـآدم .. لم تمقـت فيـه شـيئا كما قلنـا، ولكن هـذا لا يعني أن تقـترب أكثر .

- أنا أحذرك

قالتها بصوت هادئ وهي تستجدي الخلاص من كل هذا

اقترب آدم أكثر، يحاول أن يأخذها بمداعبات، نعم هي لا ترغبها ولكنها لا تستهجنها، شعر بأن يداه تجوسان ولا تقابلان صدودا، لقد افتضح كل شئ وتعرى الجسد، تعرت النوايا الضجرة بالرغبة، الرغبة التي باتت أعواما تشتعل حتى انفجرت كالبركان .

على نفس الديوان الذي كان يرقد عليه وحيدا من قبل كان يلهث .. وكانت تستجيب .

قالت هامسة :

- أخاف أن تبتعد بعد أن أخذت كل شئ

رد لاهثا :

- إنها البداية .. إنها الحياة بالنسبة لي .

قالت حالمة :

- وما هي الحياه بالنسبة لك ؟

أجاب بجدية :

- فلنتزوج

- ولماذا تريد الزواج وأنا بين يديك الآن .

- لأنني أعلم أنني لن أحصل على فعلتي هذه مرة أخرى .. أعلم جيدا هذا .

- أراك جادا

- ولما لا، ألا ترين الشوق قد افتضح من عيني، وأوشى بي إلى القاع .

الحرية هي الطريقة المثلى لفعل كل ماهو عكس الحقيقة، لذلك فإن الشعوب تعاني لأجل الحرية .. وكذلك الفتيات، إذا استطعت أن تضع ثقب صغير في غشائها الرقيق .. استطعت أن تمتلك روحها، وسوف تظل ملك لك إلى النهاية .

إن هذا الثقب بمثابة الخيط الواهن الذي تستند عليه وتستمد منه قوتها، إذا قطعت هذا الخيط أصبحت تترنح كورقه حتى تسقط أرضا، لقد ضاعت حريتها في غياهب الظلام ولا تعلم أين مصيرها، وسوف يغضب الإله «هيمينوس» إله الزواج بالطبع .

هندمت آسيا ملابسها ببعض من الخجل ثم تحركت ناحية النافذه ونظرت للأعلى، إن فقد الحريه يتم في دقيقه

واحـدة بينما تقـضي أعواما لاسـتردادها، لقـد أخـذ كل شـئ في ومضـة مـن الزمـن لم تـدر فيهـا هـل كانـت سـعيده حقـا أم لا

مـرة أخـرى دمـرت الرغبـه الحيـاه بأكملهـا، مـرة أخـرى كانـت الرغبـه تعبـث بمكامـن القـوه فانقطـع الحبـل الواهـن التـي كانـت تسـتند عليـه .

زفـرت في ضيـق بعـد أن طوقـت بذراعيهـا صدرهـا، كانـت علامـة عـلى التوتـر، وكانـت علامـة عـلى عـدم الانتصـار .

اقـترب آدم مـن خلفهـا حتـى صـار اللمـس افتراضيـا .. ثـم انحنـى ليقبـل كتفهـا الأيمـن، شـعرت بأنهـا عاريـه من كل شـئ

والتفـت إلى الـوراء فاكتشـف أخـيرا أن عيناهـا تلتمعـان، تراجـع في حـزن وقـال في بسـالة :

- سنتزوج

يعـرف أنهـا تعـرف أنـه يكـذب، الحريـه لم تكـن أبـدا وعـود .. وتراهـات .. الحريـه هـي نفسـها الحقيقـه .. هـي نفسـها المبـادرة في فعـل الحقيقـه، ومـا فعلـه آدم لم يكـن الحقيقـه أبـدا .

- آدم مختـار النجـار، كان عـليّ أن أفهـم الحقيقـه مـن هـذا الاسـم، ولكـن .. هنـاك في المـكان الـذي يشـع بالفضيلـة

«في شقة الاجتماعات» .. الكل كاذبون .

- إنها طبيعة الحياه يا طفلتي، دعينا نولد من جديد بلا رجس ...

- تقصد بلا قذارة

- لا يهم .. أقصد أنه لا يهمني أي المسميات أوضح أو أدق، ما يهمني هو أن الفعل واضح للجميع .. لذلك لا جدوى من الحديث عن.....

قاطعته قائلة :

- كيف تراني يا آدم مختار النجار ؟

فكر مليا في الكلمات وبعدها قال في مكر :

- أراكِ قديسة قد غلبها الهوى، لقد ملَّت الركوع في الصومعة .

- أنت فطن جدا، تتحدث بالكلمات التي تهيئ لك فعله أخرى كهذه .

- كلنا يبحث عن عالم مثالي لنفسه، ولا يهم يا آسيا كيف ستكون النتيجة .

- النتيجة واحدة ومعروفة عبر الدهور .

التفت آسيا كليا بملامح قاسية، وقد هدأ لمعان عيناها بعد أن تساقطت الدموع بالطبع، رفعت وجهها في تحدي وهي حانقة ثم أكملت :

– النتيجة هي أن الأنثى هي مذلة الكون .. لولا الأنثي لما كان الكون ضعيفا، .. هشا .. ونحن الضحية بعد كل فعلٍ يحمل وصم العار، أتعلم حوادث القتل ضد المرأة قديماً في الحروب ؟ لن أذكر التفاصيل لك لأنها لا تهمك بالطبع، هم لم يقتلونا فحسب .. ولكنهم أخذوا منا مثل ما أخذته أنت منذ دقائق، وبعدها مثلوا بجثثنا كأننا رجس المجتمع .. بعد أن أشبعوا رغبتهم القذرة، هذا هو مبتغى العالم، كله من الأنثى الزوج يتودد ويتلطف لأن الرغبه تشتعل بداخله، وحين تنطفئ ينتهي كل شئ، إذا هي الرغبه ليس إلا، كلما علت تعلو وتيرة التلطف، وحين تقل تصبحون أشخاصاً عاديون

نحن النساء نفهم كل شئ .. وماذا تريدون منا .. ولكننا

نرضخ لكم لأنكم الوطن الذي لم نرَ فيه الدفئ أبدا، لأننا دائما عراة .. وتريدوننا هكذا دائما .



بعد تلك الواقعه مع الشرطه تغيرت أشياء كثيرة .

صارت المناطق النائية أقوى من ذي قبل . مع أن مشكلة المياه تزداد ولا يوجد لها حل سوى الزحف، الزحف نفسه أصبح أسهل مع أن الضحايا تزداد، بعد أن أصبحوا حديث الإعلام .. وأن الشرطه تهاب أشباح المناطق النائية، صاروا يتابعون أخبارهم في التلفاز من حين لآخر، ورأس الغول يظهر كلما شعروا بالضعف، يظهر ليلقي خُطبهِ بحماسة فتشتعل الشرارة مرة أخرى، لقد انتشر خبر العاصمه «ماليه« وقصة الزحف على المياه في «جزر المالديف« وأن الناس هناك لم يجدوا طائلا بعد أن نفذت المياه لديهم فاتجهوا إلى الزحف أيضا، بعد أن انتشر هذا الخبر صارت تنفذ عمليات زحف ليلية، بالتأكيد رأس الغول هو من وراء قصة انتشار خبر العاصمة «ماليه» .

انتشر نطاق القرص المخدر على حدود وأطراف القاهره

بعد أن أصبح له كنهة معروفة وهي « رأس الغول «، بل تم تسريبه لمناطق في الشمال ويدرس مختار النجار الآن طريقة لإرساله إلى جنوب البلاد .

النهار بدأ يزحف ببطئ بعد وجبة دسمة من شمس يناير الحارقة، بعد أن تشربت الشوارع والجدران قيظا

جعـل وحـوش المناطـق النائيـة يختبئـون في جحورهـم، مـرت ثـلاث سـاعات وارتسـم القمـر في الأعـلى فخرجـوا كأنهـم ينفـذون أسـطورة الذئـب .

هنـاك عمليـة زحـف الليلـه ولكـن بأعـداد غفـيرة، وبالطبـع تحـدث عـن هـذه العمليـه « رأس الغـول « وعـن الأوامـر الجديـدة .

كان يقـف عـلى الربـوه المرتفعـة نفسـها مـن الأسـمنت ويتحـدث عـن النـاس الجوعـى والـزاد الشـحيح .

– أنتم لا تجدون القطط لتأكلون أحشاءها، إنها كارثة

كانـت القطـط قـد انقرضـت تقريبـا ولم يعـد هنـاك واحـدة، فوقـف يـردد الجملـه بصـوت رخيـم مؤثـر تقشـعر لـه الأمعـاء

مـن فـرط جوعهـا ليـس إلا، الأغنيـاء في المـدن الجديـدة عندمـا علمـوا بأمـر اختفـاء القطـط مـن البنايـات صـاروا يصرخـون مـن بشـاعة الأمـر، تحدثـوا مـع جمعيـات حقـوق الحيـوان في أوروبـا وأرسـلو القطـط إلى هنـاك في طائـرات خاصـة، بالطبـع الأمـر لم يكتفـي إلى هـذا الحـد، هنـاك تقريـر نشرتـه أحـد الصحـف الشـهيرة عـن أنـه توجـد جريمـه تحـدث في المناطـق النائيـة في مـصر، وأن هـذه الجريمـه متعلقـه

بالحيوانات وتحديدا القطط، التقرير أفاد أنه يوجد مجموعه من البشر في المناطق النائية يتغذون على أحشاء القطط .

- أنتم لا تجدون القطط لتأكلون أحشاءها .. إنها كارثة

ظل يرددها «رأس الغول» حتى تيقن أن أمعاءهم قد بدأ بالعمل، ظل أيضا يثرثر عن شخص اسمه «رودريجز» في العاصمه « ماليه» .

كيف اختطف عشرات من المواطنين الأغنياء وقاوم الشرطه بل وقتل عددا منهم .. بعدها اختفى ولم يجده أحد، كان يبث السم ليشعل الشرارة التي ستجعل البركان ينفجر، رأس الغول كان يستمد قوته كل ليله من ضعفهم .. يستمد معرفته من جهلهم .. كانوا لا يفقهون شيئا بالفعل .

عندما تحدث عن العاصمه «ماليه» وشخص اسمه «رودريجز» لم يجد سوى أفواه مواربة .

القرص المخدر الذي صنعه عبد الرحمان قد دمر كل شئ .

الزياده الواضحة في النبته الأساسيه قد تسببت في حالات وفاه كثيره، هذا غير حالات الجنون وحالات الانتحار المستمرة، الآثار الجانبيه للقرص المخدر كانت قصيرة المدى، هذا شئ لم يفكران فيه مختار النجار وعبد الرحمن

بالتأكيد، كل أذى يطرح لجلب الأموال لا يتم الأخذ بآثاره الجانبية أبدا .

يمكننا القول بأن صانع السجائر كان حريصا على أن تمت بعد أربعين عاما أو خمسين من تدخينها، سوف تمت بالتأكيد ولكن بعد فتره لا بأس بها من الحياه، سوف تنعم بأعواما طويلة من الحياة على الأقل، ولكن مختار النجار

أراد أن تعش عاما أو عامين .. وبعدها ينتهي كل شيئ

رأس الغول كان رخيم الصوت .. عيناه واسعتان وحاجباه بهما شرخان من ناحية اليمين، عريض المنكبين قوي البنيه ذو شعر أكرت وذقن نصف نامية، أنفه ذات فتحتان عريضتان من الأمام كأن حبلا يشدهما لأعلى .

إن الأوامر الجديده التي حرص على نشرها أثناء إلقاء خطبته الأخيره قبل عملية الزحف التي تتم الليلة، كانت عبارة عن تهديدات بنشر الفوضى .

وقف يقول بصوته الذي بدأ عاليا يرن في فضاء الباحة :

– هم يتربصون بنا، من سيقع ضحيه لهم سيقتلونه . فعليكم بقتلهم أولا، ومن يقدر على اختطاف أحدهم فليفعل، ولا تنسوا الشئ الذي نذهب كل مرة لأجله «

نحن نريد الطعام والماء ولن نهدأ حتى نحصل عليهم «

ارتسم القمر الكئيب وسط سحب حزينه تتمشى ببطئ مع قطيع الذهاب الذي يتحرك في الأسفل، خرجوا يتلصصون كالذئاب يبحثون عن فريستهم، لقد تسللوا من الشوارع الخلفية للمناطق النائية فوجدوا أنفسهم يزحفون على الرمال الباردة، أثناء زحفهم اختال أحدهم أن الرمال باردة نتيجة لوجود الماء أسفل سطح الرمال .. فظل ينبش بمخالبه كذئب ضال .

وصلوا السياج الشوكي المحاط بالجزء الخلفي لإحدى المدن الجديدة، عبروه عن طريق خنادق حفروها من قبل وبعدها صاروا داخل المدينة، خرجوا من بين البنايات وخلفها وملئوا الشوارع فحدثت حاله من الهياج بين السكان، في البداية كانوا يقصدون المحلات الكبرى لسرقة صناديق المياه، وبعضهم دخلوا البنايات نفسها للبحث عن وجبتهم المفضلة وهي القطط، عشر دقائق مرت على انتشارهم داخل المدينه جلبت معها الفوضى، هناك فتيات يتكومن أرضا وقد أغشين عليهن من أشكال الوحوش المقززة، وهناك حوادث بعد أن اعترض بعضهم طريق السيارات التي تركض خائفة، أفراد الأمن الذين يجوبون

المدينه كانوا هم أول الضحايا .. وخاصة الذين يحرسون المحلات التي تبيع المياه، عشر دقائق أحدثوا فيها جلبه في كل مكان تطأه أقدامهم .. وكانت كفيله بأن تدع للشرطه مجالا لأن تظهر، انتشرت الطلقات في الهواء بطريقه عشوائية لإرهاب هؤلاء الوحوش وبدأت الحرب، بسرعة البرق سقطت القناصات على أسطح البنايات من الهيليكوبتر

وبدأت القناصات في اصطيادهم كالفئران واحدًا تلو الآخر .

خلف إحدى البنايات كان يختبئ آدم وراء شجره تقف في الظلام، يتابع عملية القتل التي تحدث أمامه مباشرة، هناك رجل خمري اللون قوي الجسد وحليق الرأس يمسك بمسدس في يده .. ينقض على أحد وحوش المناطق النائية، كانت الضحيه المتكومه أرضا قذرة الهيئه نتنة الرائحه،

يقاوم بمخالب ذئب متحول في ليله قمرية، أثناء المقاومة اخترقت مخالبه أسفل عنق الرجل وظل يعبث بها حتى تناثرت الدماء .

بالطبع لن أقل أن الرجل القوي البنيه حليق الرأس سوف يتحول إلى زومبي قذر مع أقرب ليله قمرية، ولكنه لم يصدق أن ما حدث كان في وهله من الزمن .. فانتفض وهو

ينهـال عـلى الضحيـه باللكـمات حتى استسـلم وهـدأ بـين يديه .

كان غـرض الرجـل بعـض المعلومـات وإلا لكانـت الضحيـة قـد قتلـت برصاصـة واحـدة مـن فوهـة المسـدس منـذ بدايـة هـذا النـزال، بعـد أن هـدأت الضحيـة أمسـكه الرجـل القـوي مـن ياقتـه وظـل يطـوح بـه يمينـا ويسـارا، ظـل يـردد شـيئا مـا كالببغـان .. فلـما لم يجبـه قـرر أن يصـوب فوهـة مسدسـه ناحيـة رأسـه مبـاشرة، شرع بالضغـط عـلى الزنـاد فسـمع الكلـمات تخـرج مـن بـين أسـنانه إلى الفضـاء .

- رأس الغول

بعدمـا قالهـا الضحيـة انطلقـت الرصاصـة مـن الفوهـة فلـم يسـمع لهـا صوتـا أثـر انفجـار رأسـه، تركـه بعد أن هشـم رأسـه وانطلـق راكضـا في الظـلام، كان باديـا عليـه أنـه مـن رجـال الشرطـه أو أحـد حـراس المارينـز الخاصـة .

آدم كان يتابـع عمليـة القتـل مـن خلـف شـجرة ضخمـة وراء إحـدى البنايـات، خـرج مصعوقـا يتفقـد الجثـة الهامـدة وهـو يـردد «مـن هـو رأس الغـول هـذا«

***

المدينـة الفاضلـة التـي حلـم بهـا وفكـر فيهـا كل شـخص كانـت تعسـة، ولربـما لا تجـد إلا الشـقاء بعـد أن تنتهـي مـن تشـييدها، كل منـا لـه مدينـة فاضلـة يعـش في داخلهـا ويغلـق عليـه بابهـا، المدينـه الفاضلـه تعنـي أن تتقمـص في خلجـات شـخص يبهـر الآخريـن .. ولا يبهـرك أنـت بالطبـع، المدينـة الفاضلـة متعلقـة بحاجـز الهيبـة، يحميـك ولكنـه ينهـار بسـهولة جمـه كـما انهـار الحاجـز الـذي صنعتـه آسـيا، إن وجههـا كان فاتنـاً في يـوم مـن الأيـام، ولم يعـد كذلـك في نظـر آدم، مـرت أربعـة أيـام كانـت كفيلـة بـأن تغيرهـا إلى الأسـوأ، وجههـا الشـاحب كأنهـا مصابـة بفقـر الـدم، وخداهـا نحيـلان جـدا .. بـل خاسـفان، كانـت لهـا في يـوم مـن الأيـام عينـان دافئتـان ووجهـا بيضـوي، وأنفهـا كان مسـتقيم صغـير متسـق، كانـت آسـيا جميلـه حقـا وهـذا مـا آثـار طليعـة آدم في أن يثـبر أغوارهـا ويخـترق ذلـك الغشـاء الرقيـق، ثـم بعـد ذلـك يـرى مـا سـتصيرعليه، أن تكـون مولعـا بفتـاه لا يعنـي أبـدا أن تراهـا دائـما كقديسـه، فهنـاك لحظـات تختالهـا فيهـا كعاهـره .

في شـقة الاجتماعـات كانـوا يجلسـون .. إنهـا المدينـة الفاضلـة الخاصـه بهـم، ولكنهـا لم تعـد كذلـك بالنسـبه لآسـيا، كانـت واجمـه تشـتهي الصمـت كأنـه جرعـه مناسـبة مـن العقـاب لمـا حـدث، الفتـاة المتحـرّرة كانـت تلهـو بسـاعات الحيـاة وتجـد في

ذلـك لـذة .. ولكنهـا كأي فتـاة كانـت تشـتاق للـزي الأبيـض وشريــط مــن الدانتيــلا، لقــد أصبحــت الليلــة الأســطورية البيضـاء وهـم وعليهـا أن تفـض رأسـها الآن لتنتبـه إلى حديـث نشـوى المصطنـع .

قالت نشـوى وهي شـبه منزعجـة في لهجه يكسـوها الاصطناع :

– لا أعلـم مـا فائـدة السـياج الفاصـل بيننـا وبينهـم، إنهـم يخترقـون كل شـيئ ليصلـون إلينـا، إننـا الآن أصبحنـا الضحيـة وليسـوا هـم .

انتهـت وهـي تتنفـس الصعـداء لأنهـا لم تنحـرف عـن المسـار المحــدد، كانــت تراقــب نظــرات محمــود ســامح البنهــاوي العاريـة، هـي مـن ذلـك الطـراز الـذي يجـد في الإغـراء لـذة الحيـاه، إن الذكـور مهـما عـلا شـأنها فإنهـم عبـارة عـن مبيضـين لا أكثـر ولا أقـل .. إن غرائزهـم تتبـدل في لحظـات، فبعـد أن كانـوا ثوريـين ومناضلـين يتحولـون إلى متحرشـين

نشوى كانت تعلم هذا جيدا .

فكر محمود في الحديث مليا فقال :

– هنـاك عـدم سـيادية في هـذا العـالم، وسـوف أتحـدث عـن شـئ مـا بصـدد مـا ذكرتـه نشـوى، لا أعلـم لمـاذا هـذه القضيـه

تذكرني بمسلمي الروهينغيا .. أو مسلمي القدس، أو غيرهم من الذين يمتلكون قضيه مماثله لهم، أردت أن أقول إنها الأرض التي لم تكن ملك لشعوبها أبدا، كأننا نلام على امتلاكنا أرض نعش عليها في سلام، ولكن ليس من حقنا أبدا أن ندافع عنها، عندما قرأت في التاريخ وتفحصت المذابح التي ذكرها بين طيات أوراقه لم أجد سوى أنه محي للعداله .. ومحي للإنسانية أيضا، التاريخ كله لا يذكر إلا

كوارث حدثت في حق الإنسان الضعيف، كأن الأرض والحدود ملك للدول القوية، وبالتالي أي شخص قوي يستطيع أن يأخد أي قطعة أرض تحلو له، الدول الأوروبيه كلها قامت على شئ من قبيل هذا، القوه التي لا يستهان بها يجب أن تكون ذات شأن، وهذا الشأن يكتمل بحدوث المذابح والجرائم في حق الإنسان الضعيف .

إليكم مثلا فكرة الإنسان البدائي، كما تحدثت عنه آسيا من قبل، وأن التاريخ كله عبارة عن كلمتين وهما « البقاء للأقوى « منذ أن بدأ الصراع بين هابيل وقابيل، وبعدها سمعنا عن ملاحم عظيمه حدث فيها أن البقاء للأقوى، فهناك عدم سيادية حقا، وهذا يدل على أن الصراع بدأ مع ظهور الإنسان البدائي، الفقراء يظلون سعداء لأن

الدولـه تعتبرهـم حقـا فقـراء، وتراعيهـم عـلى هـذا الشـأن، هـذه نقطـه مهمـة جـدا، عندمـا تعامـل الدولـه الفقـراء لأنهـم فقـراء وليسـوا أغنيـاء يظلـوا سـعداء .

ولكـن عندمـا تحـدث كارثـه في المناطـق النائيـة .. النـاس هنـاك لا يمتلكـون الميـاه، قولـوا لي مـاذا يفعلـون، هـل يزعجنـا فقـط أننـا خرجنـا عـن الشـكل الاجتماعـي اللعـين، لأن منظـمات حقـوق الحيـوان تتحـدث عـن بـشر يأكلـون أحشـاء الحيوانـات .. وبالتـالي فـإن منظـمات حقـوق الإنسـان نفسـها تكتشـف أن التقريـر نفسـه يجـب أن يشـتمل عـلى أن هـؤلاء البـشر أنفسـهم يأكلـون أحشـاء الإنسـان أيضـا .

أرجوكـم كفـوا عـن هـذا التفكـير السـاذج، هنـاك لغـط مـا مـن البدايـه، إن عـدم السـيادية هـذه ليسـت عندنـا نحـن فقـط .. بـل توجـد في العـالم كلـه، هتلـر أبـاد شـعبا كامـلا ليسـوا مـن العـرب أو المسـلمين، حتـى لا نقـل أن المسـلمين يعانـون في كل بقـاع الأرض، العنصريـة لا تفـرق أبـدا بـين الأبيـض والزنجي، بـين القصـير والطويـل، بـين الذكـر والأنثـى، العنصريـه تنشـأ في داخلنـا منـذ الصغـر، تنشـؤها الثقافـات والمواقـف .. تنمـو معنـا فتظـل غافيـه حتـى يحـين موعـد ظهورهـا .

العـالم نفسـه عندمـا بدأ نشـأ عـلى فكـرة العنصريـة، أصحاب الأرض في الجنـوب لا يحـق لهـم أبـدا المهاجـرة للشـمال، هـذا يحـدث منـذ قديـم الأزل حقـا .. إنـه إرث نتوارثـه عـبر التاريـخ

فبالتـالي عندمـا تعامـل الدولـه الفقـراء عـلى أنهـم ليسـوا كذلـك سيثورون، وسـتكون ثورتهـم بالطبـع عـلى سـكان المدن الجديـدة .. وعـلى كل شـخص يمتلـك أشـياء لا يمتلكونهـا هم .

محمـود سـامح البنهـاوي كان شـخصا متجهـما ذو ملامـح قاسـية، يتحدث بصرامه شـديده تشـبه أيضـا طريقتـه في القراءة، عندمـا ينكفـأ عـلى كتـاب مـا تصبـح ملامحـه أشـد قسـوة، ولعـل هـذا يعطينـا إجابـة عـن نوعيـة الكتـب التـي يقتنيهـا

يمكننـا أن نقـول وبـدون مبالغـه أنـه ذو ميـول ديكتاتوريـه، بالطبـع لقـد قـرأ في أول حياتـه المعرفيـه كباقـي المراهقـين ومـا يحـدث لهـم، قـد قـرأ كتـاب « كفاحـي « لأدولـف هتلـر .. لقـد أذهلـه الكتـاب فبـدأ يبحـث عـن أسـباب كثيره وأكثـر إقناعـا

تجعـل ادولـف هتلـر يحرق اليهـود، ومـن ثـم يمكننـا القـول بـأن جميـع الكتـب التـي قرأهـا بعـد ذلـك كانـت عـن التاريـخ، وكيـف تحـول الإنسـان مـن كائـن يتكاثـر إلى وحـش يقتـل ويفسـد في الأرض .

القديس أوجسطين لم يمت أبدا يا آسيا، لقد نثر ذرات المعرفه في أرض حقيقية .. حتى إذا ارتوت بالماء نبتت .

كحال «فيدور دويستويفسكي« الذي كانت وصيته تقول حين يهيلون على قبري التراب، انثر فوقه فتات الخبز .. فتتهافت عليه العصافير فأسمع صوتها .. ولا أشعر أنني وحيد .

القضيه هي أن أوجسطين لم يرد أن يصير وحيدا بعد أعواما من المعرفه، وكذلك دويستويسفكي كان يريد أن يسمع صوت العصافير وهو وحيد في قبره، إن آسيا لم ترد أبدا أن تشعر بالوحده مجددا، انتفضت من كلمات

محمود سامح البنهاوي القاسية، تحمحمت دون أن تنظر للشخص الذي يراقبها في فضول وقالت :

- جميعنا يعلم أن حديثنا هذا دون ضاله، والصحيفة الالكترونية الخاصة بنا سوف تحترق في يوم ما .

قاطعتها نشوى قائلة :

- نحن لا نجيد شيئا سوى هذا

ردت آسيا في حزم :

- وماذا يعني أن ننشر على الإنترنت لأناس لا يفعلون شيئا سوى القراءة، مع أن معظمهم يعلم جيدا أننا لا نستطيع فعل شيئ أيضا سوى الكتابة، إن الدائره مغلقة .. بل محكمة الإغلاق .. حتى لو تحولت الدائره إلى مثلث . سيظل مغلقا كما هو، كلنا لنا مدينة فاضلة .. غرفة مغلقة خاصة به، لا تختلف بالطبع عن العالم الذي نسكن به، ولكنها مصغرة .. والاثنين مليئتين بالدناءة والحطة، سوف أوهم نفسي وأقل لكم أننا لم نكن نقصد هذا بالطبع .

أقصد عن الحروب التي نعيشها ويروح ضحيتها الفقراء فقط، ولكن .. هل تعمدنا أن نثر بذور أشجار الزيتون فتنبت لنا أشجار التوت، هل تعمدنا أن ننثر بذور أشجار البندق فتنبت لنا بذور أشجار الصبار .

نحن لم نتعمد شيئا ولم نختار في يوم ما تلك الأشياء، إنها أرضنا وهذه أشجارنا التي تنبتها، فهل يعني لكم شيئا أن الناس تأكل أحشاء القطط، هل يعني لكم شيئا أن صنابير المياه لا تسمع منها إلا خريرا، وهل تعلمون ماذا يخبئ لنا التاريخ في جعبته، من هذا الشخص الذي يرضى لنا كل هذا، ومن يوافق على كل هذا من الأساس، إنني أضحك كثيرا عندما أعلم بأنه يوجد أشخاصًا حقا

يتعمـدون أذيتنـا، ويحاولـون محـاذاة كل الثـروات ناحيتهـم .. إنـه أمـر يسـتحق التأمـل، كـم أنهـم قسـاه هـؤلاء البـشر.

إنهـا دنـاءة العـالم وحطتـه التـي لـن تغفـر .. التاريـخ الـذي لم يُـدون (مـع وضـع ضمـه عـلى اليـاء) جيـدا كـما وجـب أن يُـدون، لم يذكـر لنـا التاريـخ أسـماء الضحايـا الذيـن دافعـوا عـن الأرض في كل المعـارك التـي خاضهـا الشـهداء دفاعـا عـن الوطـن، ولكنـه يذكـر لنـا اسـم قائـد المعركـه ومـكان القـصر الـذي يسـكنه، إن الضحايـا هـم فقـراء الوطـن، وتدويـن التاريـخ كان أضحوكـة، كيـف سـيتذكر الفقـراء في الكتـب ولمـاذا، سـيظهر فضائـي منكـم ليقـل لي هـل جننـت، وكـم سيسـجلون أسـماءً في الكتـب، سـأجيبه طبعـا بنفـس المنطـق، ولمـاذا إذا نسـجل التاريـخ ؟ ولمـاذا كل هـذه الكتـب الضخمـة .

لنقـل أن هذا ليس ضروريـا أن نتحدث عنه، ولكننا لا يمكننا أبـدا أن ننسـى .. أنـه منـذ أن نشـأت البشريـة وعامـة الشـعب يعاملـون هكـذا، دون مراعـاه .. دون حقـوق .. ودون إنسـانية .

- لا يمكن المساواه بين الغني والفقير .. هذا مستحيل .

قالها آدم فأجابت آسيا على الفور :

- وجهة نظر مختلفة .. هل تدرك ماذا تقول ؟

- نعم، أدرك جيدا، لا يمكن المساواه بين رجل من عامة الشعب، وأمير من أمراء الأسره الحاكمة .

- أنا أقصد معنويًا لا ماديًا، نحن لم نتحدث أبدا عن المكانة الاجتماعية .

- لا هذا ولا ذاك، إنكم تعبثون بالتاريخ، بل تعبثون بقوانين الطبيعة نفسها، لو لم تكن البلاد تدار هكذا منذ قديم الأزل .. لما وجدت بلاد من الأساس، السيادية بين الشعب كله تعني انهيار الدولة بأكملها، صدقوني .. لا بد من وجود كل الطوائف وجميع أنواع المعاملات حتى يرتسم شكل الدولة

- ومع ذلك، هناك انهيارات في الدوله .

- لأن الدول العربية كلها كانت في حالات حروب، وما زالت الحرب تستنزف خيرات أوطاننا .

- لا يمكن التفكير أبدا في هذه الأمور بهذا الشكل، ولو

كانت الدولة نفسها تفكر هكذا لكان هذا هو سبب الانهيار الحقيقي .. وليس عدم السيادية كما تزعم .

***

في سجن الذات

يا مدينة الوهم

تحت الضباب الداكن فجر الشتاء

تدفق حشد فوق جسر لندن

حشد غفير

لم أتصور أن الموت قد طوى كل هؤلاء

من قصيدة أرض الضياع

المكان مظلم كفوهة الثقب الأسود والجدران تنبعث منها صورا للشياطين، والأرض محملة بأرواح الموتي وروائحهم الكريهه، ثمة عقاب يختبئ بين أركان الظلام وكله اشتياق .. في برهه من الزمن لا تعلم متى ولا كيف جثم على صدرك وقيدك بعواميد من الضباب .

ذات مره صرخ خالد قائلاً :

- أريد أن أرسم لوحه .. أريد أن أرسم شجرة .. أريد أن أرى النور .

لقد سخرا منه عبد الرحمن وكمال في تلك الليلة، صارا يضحكان وقد تحول ضحكهما من ثقل الظلام إلى عواء ،

تحوّل الضحك إلى بكاء ومن ثم ساد الصمت الرهيب .

خالد في يوم من الأيام كان يضع على جدران غرفته صورة مفزعة لدراكولا، أسنان بارزة تتفصد منه لأسفل خيوط الدم الحمراء، وبجوار دراكولا صوره « لفرانز كافكا«، الرجل الذي حول حياته إلى ظلام، كان ينقش على الجدران عبارات سوداوية دامية منها واحده « لتوماس اليوت« .

«الناس في أرض الضياع حياتهم أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الموت .. أو هي الموت نفسه«

كان قارئا نهما في الظلام فخشاه والداه، كان يتنفس القصص الأسطوريه فأصبح أثناء الدراسه شخصا غريب الأطوار، لو كان يعلم أن الظلام سيقضي على حياته لكف عن كل هذا .

في تلك الليله أطفأت زوجتك أنوار الغرفه لأنك لا تنم إلا في الظلام، اقتربت منك رغبة لإرضاء جسدها المشتعل شوقا لك، لكنك لم تشتعل .. ولكنها لم تجدك ذكرا كما عهدت، لقد انطفأت الرغبة بداخلك في تلك الليلة، صرت تحدق في الظلام بالكاد تتبين ملامحها العتيقة .. وصارت تبتعد راجفة عن البركان الخامد الذي لم ينفجر بعدما اشتعلت في جذوته النيران، غفوت وكلك يقين بأن السر سيطيح بك، تغلق جفناك فتراهم يحملونك على محفه .. يمشون بك في الظلام وهم يتخبطون بكل شئ، يتحسسون الدرج لأسفل حتى يصلون بك إلى القبو، تصحو فزعا فتجد نفسك في القبو ذاته .

المكان مظلم كفوهة الثقب الأسود والجدران تنبعث منها صورا للشياطين، والأرض محملة بأرواح الموت وروائحهم الكريهة، لقد سمعوا ذات مرة الحراس وهم يتحدثون عن أشخاص قد ماتوا هنا من قبل، وهذا دليل على أن سكان هذا القبو قد استكانوا للموت قبل أن يجئ إليهم، لم يكن في مقدرتهم مواجهة الحياه المظلمة بشتي أركانها، إن الظلام ليس في حاجه إلى جهد لأن يستمر ويسود، سكان القبو كانوا يدركون هذا جيدا، كانوا يعلمون أنه لا مفر من هذا الظلام أبدا . لا مفر من هذا الموت أبدا فكانوا يموتون قبل أن يأتي الموت نفسه .

عندما صرخ خالد قائلا « أريد أن أرسم لوحه «، كان يشتاق للنور حقا، كان يشتاق إلى نافذة غرفته والشجره التي تحط أسفلها، كم كانت الشمس الحارقة جميلة .. وكم كانت دافئة .

لم يكن مذنبا على الإطلاق .. لم يرتكب أية خطيئة تؤهله لكل هذا، لقد قال « لا « لمختار النجار وأظنه نادم كل الندم على قولها .

في الليلـة الماضيـة اشـتد الألم إلى حـد المـوت، قـال عبـد الرحمـان وهـم يحملونـه عـلى المحفـه ويذهبـون بـه إلى حيـث لا يعلمـون .

- هـو لم يـأكل منـذ أربعـة أيـام تقريبـا، كان فقـط يمضـغ التبـغ ويتجـرع المسـحوق الأبيـض بشراهـة، لقـد كان باديـا عـلى كلماتـه الأخـيرة أنـه كان يريـد المـوت .

رفعـت الفـار كان يراقـب مشـهد مـوت خالـد مفزوعـا، طـلاب كليـة الطـب سـيصبحون جميعهـم أطبـاء .. كذلـك حـال سـكان هـذا القبـو .. سـيصبحون جميعهـم أمـوات، هـذه حقيقـه لا شـك فيهـا مطلقـا .

حـين فتـح بـاب القبـو الحديـدي رأوا السـائل الأبيـض يخرج مـن فـم خالـد، كان وجهـه شـديد النحـول وعينـاه قـد برزتـا للأمـام وجلـده يشـبه سـطح بـركان يغـلي، لقـد مـزق جلـده تمزيقـا .. أظـن أن سـبب هـذا هـو مخالبـه المدببـة كمخالـب ذئـب، صـار يشـبه سـكان المـدن النائيـة، والعامـل المشـترك هنـا هـو القـرص المخـدر .

- يا لها من كارثة

قالها الشرطي كمال وهو يستجدي في الظلام وجه عبد الرحمان، لحظات من البحث في الظلام فلما لم يجد شيئا أكمل حديثه :

- أظن أنها الآثار الجانبيه للمخدر أيها الصيدلي .

تملص عبد الرحمان في الظلام القاتم من السؤال وراح ينزوي في الركن الأيسر للقبو، جلس القرفصاء وظل يفكر

كيف ستكون هيئته بعد عام واحد من الآن، عندما سمع السؤال نفسه يتكرر في الظلام احتبس أنفاسه كي لا يشعر به أحد، لا شئ يسري في جسده الآن سوى الحماقة .. والخطيئه النابعة من الشيطان، إنها دموع الخسة والدناءة ليس إلا، أين كانت أرواحنا اليقظه حينما داعبها الشيطان، فبدلا من أن نقاوم انصهرنا وذبنا على يد هذا الكيميائي البارع، إنه الشيطان الذي يمسك بالخيوط التي تحركنا فنجد في صور الدمامة دوافع الإغراء، وفي كل يوم ننحدر خلال الدياجير درجة فدرجة نحو الجحيم، أرض الظلام كانت منيرة في يوم من الأيام، كانت هناك أعمدة الإنارة

شاهقة وأسفلها الأشجار .. فترى الظلال المتحركة مع الهواء الذي يعبث بأوراقها، كانت هناك حياة على الطرقات أسفل أعمدة الإنارة، ولكننا أطفأنا كل شئ .. كل خسه ودناءة تحملها نفوسنا أطفات أرض النور وصارت أرض الظلام .. والأشجار ذبلت أوراقها وسكنتها الحداءت، لم تعد هناك دموع لتذرفها يا عبد الرحمان .. ومن سيراك في ظلام القبو تبكي، لا شئ سوى التنهيدات العالية، هناك تنهيدات قادمة من جهة الركن الأيسر للقبو .

مشهد موت خالد في النور كان بمثابة جرس الإنذار .. ترى من القادم ؟

إننا محطمون من الداخل .. كيف سيكون ظلام الموت إذا وهل ستفيد التنهيدات بشئ، إن في أدغال رذائلنا البشعة بشاعات تفوق الجحيم نفسه .. وفي عقولنا يتدافع حشد من الجن يتواثب في شراهة .. كجحافل الميكروبات الطفيلية .. فإذا تنفسنا .. تساقط الموت في رئاتنا مثل زهرة غير مرئية في موكب الزفرات الخرساء .

هلموا يا حراس، أغلقوا باب السجن علينا .. إن النور قد أعمانا .. ولم نعتد على هذا النقاء في يوم من الأيام .

- كف عن البكاء .. لن يفيدنا الندم في شيئ

صاح كمال من جديد في الظلام، صاح وهو يلوح بكلماته البائسة علّه يجد طائلاً من هذا، ترقرقت عيناه البارزتان إلى الأمام بالدموع السوداء، أظنه يتحسس عليهما الآن بأظافره المدببة .

كانت هذه التجربة هي الأولى من نوعها .. لم يفكر في هذا من قبل، ولكن هيئة خالد دعته للتجربة بعد أن حملوه بعيدا، لقد تحسس وجهه فشعر بأن عيناه حقا بارزتان للأمام، لا يحتاج للنور والمرآة لإدراك هذا .

إنه الشيطان الذي يمسك بالخيوط التي تحركنا فنجد في صور الدمامه دوافع الإغراء، وفي كل يوم ننحدر خلال الدياجير درجة فدرجة نحو الجحيم، كان الشيطان يدعى «مختار النجار»، الرجل الذي يرتدي بذلة الشيطان .

- زهـرة النرجـس .. إنهـا حقـا تشـبه زهـرة النرجـس يـا عبـد الرحمـان، بالطبـع أنـا لا أقصـد زهـرة النرجـس التـي تحمل مظهـرا رائعًـا، ولكننـي أقصـد تلـك التـي تقتـل أي نبـات ينمـو بجوارهـا، أتتذكـر مـاذا كنـت تثرثـر عنهـا ؟ كنـت تثرثـر

بـأن حياتـك سـتنتهي إن لم تحصـل عليهـا .. قطـرات مـن رحيـق شـفتاها تبخـر يومـا شـاقا مـن العمـل في السـماء، وتجعلـك تلعـق نهـرا مـن العسـل، لـو خـيروك الآن بـين قبلـة مـن شـفتيها وبـين النـور، مـاذا سـتختار ؟ هـل سـتفكر في نهـر العسـل لتعـش بقيـة حياتـك في الظـلام .

تذكـر عبـد الرحمـان كل شـئ حـدث .. كان المشـهد حقـا رومانسـيا ولكنـه مختلطـا بشـيئ مـن الدهـاء، كان عليـه أن يفهـم حقـا مـاذا تريـد الفتيـات .

في تلك الليله قال لها :

- يا زهرتي .. يا حلوتي .. يا جميلتي .

كانـت ترمقـه بنظـرات ملتهبـه تشـبه نظـرات الغانيـات، اقتربـت أكثـر منـه ثـم التفـت بذراعيهـا حـول رقبتـه .. عندمـا

اشــتم رائحــة عطرهــا خــارت قــواه وظــل فكيــه مواربــان كالأبلــه .

- أنــتِ ســعادتي .. لنعــش حياتنــا في ســعادة .. في صــبر .. وفي عطــاء .

شــهقت شــهقتها وابتعــدت إلى الــوراء عندمــا ســمعته يتحــدث عــن الصــبر، مــاذا تعنــي بهــذه الكلمــة أيهــا الأحمــق، هــل تقصــد البــلاء . هــل تقصــد العنــاء .

ركــض خلفهــا مسرعًــا فابتعــدت أكثــر، كانــت النــيران تحرقــه فــأراد قُبلــة واحــدة فقــط .. وبعدهــا فليحــترق كل شــئ، ظــل يثرثــر بالوعــود لأجلهــا ولكــن لا فائــدة، هربــت منــه واســتنفرت واشــمئزت فاشــتعلت النــيران بــه أكثــر، بــات ليلتهــا وحيــدا كئيبــا يســتجدي زوجتــه في أحلامــه .

هــذا النــوع مــن الفتيــات تلعــن نفســها ألــف مــرة عندمــا تكتشــف أنهــا تزوجــت رجــل مــن الطبقــه الوســطى، إنــه النــوع الــلاتي يتدللــن لأجــل شــئ مــا، ودون ذلــك تصبــح اللــذه محرمــة كأن الــزوج فاســق فقــير، وهــي راهبــه ســتمتنع بالتأكيد .

أكمل كمال حديثه :

- يتحدثون عن ثوره بالخارج لحسن حظنا أن هذان الحارسان عباره عن أحمقان، يثرثران عن كل شيئ .

- لماذا لا نقوم بثورتنا نحن

هذا صوت رفعت الفار، إن ملامحه المختبئة بين أركان الظلام تبشر بالانتقام، لقد بدى لي هذا، هذا ما ينطبق عليه القول «لقد سكت دهرا لينطق كفرا»

- يخيل إليَّ أننا لا نستحق كل هذا، نحن لم نخطئ مثل الآخرين، فلماذا يضعوننا هنا أولاد الزنا، هم أخطأوا كل الخطأ، ومع ذلك يعاقبوننا على فعلتهم، لو عاد بي الزمن مرة أخرى لفعلت فعلتي ثم قتلت مختار النجار وبعدها فصلت رأسه عن باقي جسده .

نصف مليون تفعل بي كل هذا .. يالها من سرقة صغيرة

ولكن لماذا حقا يضعوننا هنا، هل يعاقبون الأشخاص على السرقات الضئيلة كهذه، الناس بالخارج يطالبون بحقوقهم

ولكــن لا أحــد ينصــت لهــم، فــدب الانتقــام في أجســادهم، إن بالخــارج لحــرب تبــين لنــا أن استســلامنا ضعــف، علينــا أن نحــارب لنخــرج مــن هنــا، الناس بالخــارج تزحــف لأجــل المياه

ونحن يجب علينا أن نزحف لأجل النور .

– وكيف يحدث هذا أيها المحقق كونان

– أنــا لا أمــزح أيهــا الأبلــه، أنتــم تمكثــون هنــا منــذ أعــوام .. ولم يفكــر أحدكــم في الهــروب مــن قبــل

– الفكــره نفســها صعبــة في ظــل هــذا الظــلام الحالــك .. الظــلام لم يجعلنــا نفكــر قــط .

انتهــى كــمال فتحســس الجــدار حتــى وصــل قرابــة صــوت رفعــت الفــار، دنــا للأمــام أكثــر برقبتــه حتــى شــعر بأنفاســه وتبينــه أكثــر عندمــا خرجــت ســعله مفاجئــة، فكــر قليــلا ثــم قــال بصــوت منخفــض :

– هل تفكر في الأمر حقا ؟

– نعــم، منــذ أن أتيــت إلى هنــا .. ولكــن كان عــليّ أن أصارحكــم بالأمــر بعــد مــوت خالــد .. لقــد أثــار موتــه في

نفسي ذعرا رهيبا، ومنذ أن أخذوه على المحفه وأنا أفكر في خطه لنخرج من هنا .

كمال كان يستسلم للظلام، الظلام الدامس المحيط به خنقه فلم يعرف أين الفرجه التي تقود إلى النور .. لم يعرف كيف يفكر في خطه يخرج بها من هنا .

قال حالما :

– قل لي ما خطتك

قال ساهما :

– اشرح لي كيف سنرى النور .

أجاب رفعت في نفاذ صبر :

– هل تعتقد أن شرطي مثلك يمكن أن يفكر أصلاً، يخيل إليَّ انك لست شرطيا من الأساس، حسنًا، هذا ليس موضوعنا .. ان مرض الربو يكاد يقضي عليَّ ....

ما إن أكمل جملته حتى باغتته سعلة أخرى، سحب كومة من الهواء الأسود إلى داخل صدره وأكمل :

- نحن شرطيان ونعرف جيدا ما معني المبارزة، مع أني أشك في هذا من ناحيتك طبعا، ولكن هذا كل ما في الأمر لا توجد خطه من الأساس، إن الخطه برمتها في كوننا

شرطيان، ناهيك عن أن هذا القذر المسجى (عبد الرحمان) سيساعدنا في شئ ما .. لا أعلم ما هو بالطبع ولكنه حتما سيفعل، ليس من أجلنا .. بل من أجل النور .

***

تراجیدیا

لعبة الشطرنج كانت مسرحيه « لتوماس ميدلتون « التي كتبها عام ١٦٢٤ . فقد سخرت من الصراعات السياسيه المعاصره والتي لا تخرج عن كونها مباراة شطرنج، يتلذذ فيها الملوك والأمراء من متع المؤامرات والمكائد والأحاييل، لكنهم لا يخسرون المباراة برغم أنهم اللاعبون .. ذلك أن الذي يخسرها هو جمهور المتفرجين «أي الشعب« .

هناك أيضا قصة الاغتصاب التي حدثت لفيوميلا أميرة أثينا الفاتنة الأسطورية، فقد اغتصبها تريوس زوج أختها الذي لم يكتفي بفعلته الشنعاء، بل قطع لسان فيوميلا حتى لا تخبر أختها بما فعله معها، ظنا منه بأن قطع اللسان كفيل بطمس الحقيقه ودفنها إلى الأبد كما يعتقد كثير من الحكام والأباطرة، أما بروسنا أخت فيوميلا فكانت آذانها وعيونها مفتوحة على التغيير المرعب الذي طرأ على أختها، ولم يكن من الصعب عليها أن تعرف ما فعله زوجها تريوس، إذ نسجت فيوميلا قصتها لأختها على القماش، ولأن الفساد لا يلد سوى الفساد .. والجريمة لا تؤدي إلا إلى أبشع منها فقد قامت بروسنا بتقطيع ابنها وقدمته لزوجها تريوس ليتناوله على مائدة الطعام .

لا شك بأن الابن البرئ المظلوم الذي لا ذنب له في كل ما حدث .. يمثل الشعوب التي تدفع ثمن جرائم حكامها من حياتها ودمائها .

في وسعي أن أتذكر قصة بناء السد العالي وكيف مات البعض من أجل الوطن .. عندما يطلب الوطن يد العون لا يجد إلا فقراءه، إنه مدين لهم بكل شيئ .

دخل آدم على والده في مفاجأة لم تكن متوقعة أبدًا، القصر من الخارج يعبر عن الثراء الفاحش، هناك أربعة حراس من المارينز يقفون على البوابه الرئيسية .. يتحركون بذكاء خارق يوحي لك بأن الرجل الذي يسكن القصر من رجال الدوله المهمين، القصر يترك في نفسك انطباعا أليما سحيقا إن كنت بالطبع من رجال الدوله الغير مهمين، لم يمنعه الحراس من الدخول .. لقد عاش هنا فتره لا بأس بها قبل أن يرحل بعد مقتل شقيقته .

عندما أزاح الباب بيده اليسرى إلى الداخل وتوغل بنمطيته المعتاده لم يجد ردة فعل من الرجل الذي يقف خلف الستار، التف الرجل ليترك منظرا طبيعيا للبهو الواسع أمام القصر، التف بحركه بطيئة نصف دائريه كترس يدور في ساعة أسطورية معلقة على إحدى حوائط

سان بطرسبرج، يده اليسرى كانت ترتعش مع ذلك كان يقبض بين إصبعيه علي لفافة تبغ من فئة سيجار .

مختار النجار الرجل الذي يرتدي بذة الشيطان، مختار النجار الرجل القادم من الفضاء لاحتلال هذه المدينة، مختار النجار الرجل الذي حول الأقراص المخدرة إلى دواء، مختار النجار الرجل الذي أفسد المدينه الفاضلة، مختار النجار الرجل الذي قتل فيلسوف الفلاسفه «سقراط» .

رجل نحيف كأنه قد من عود قصب، وقد ارتفعت كتفاه الضيقتان حتى كادتا تلامسان أذنه، عاد إلى مكتبه الفخم ذا الأرجل المطرزه بالعاج .. ثم جلس وقد اتكأ إلى الوراء في أريحيه .

- كنت أتابعك وأنت تدخل القصر بسيارتك الكادحه أيها الابن العاق .

قالها وظل يتابع بتمعن ردة فعل لآدم، ولكن الفتى رفع عيناه إلى الأعلى ناحية الصوره المعلقة فوق رأس والده مباشرة، الصوره عتيقه جدا مطلية جوانبها بالذهب تحوي بين جوانبها صورة نادرة لسعد زغلول باشا

- تُرى .. كم ثمن هذه الصوره يا والدي العزيز

- كثيرا، أكثر من اللازم، لقد فزت بها في مزاد، كنت قد راهنت صديقي أنها لي .. مهما بلغ ثمنها .. وها أنت تراها .

قال آدم في نفاذ صبر :

- هل تعرف شخص يُدعى رأس الغول .

رد مختار النجار في عدم كياسة :

- لا، يمكنك القول بأنني لا أكترث بشأن قدومك هنا، بل لا أكترث بك على الإطلاق .

- علك تخبرني بأن لا شأن لك فيما حدث

- وماذا يحدث أيها الابن العاق .. قل لي ماذا يحدث، هل جئت إلى هنا لتخبرني أن لك قلبا صالحًا .. هه .. ما فائدة هذا وأنت ترتدي ملابس رثه كهذه .

ثم أشار بيده التي تضم لفافة التبغ ناحية آدم، كاد الفتى أن ينفجر وفكر في أن يحطم رأس والده وبعدها يحرق هذا

المنزل، ولكن لن يفيد هذا بشيء، تقدم خطوة إلى الأمام وقال بصوت مبحوح :

- لقد قتلت أختي أيها .....

قاطعه مختار النجار بعدما نهض فجأة وصرخ قائلاً :

- أنا أفهمك جيدا أيها العاق .. جئت لتبتذني من أجل المال

- بل جئت لأحذرك .. الناس سوف يفتكون بك، عاجلاً أم آجلاً .. سيحدث هذا .

- آه .. أنتم أيها الشباب المعضلة الحقيقية التي تقف في وجه الدولة، دائمًا أصفكم بأنكم تشبهون سباق الخيل، عندما تعطي إشارة البدايه تنطلقون بدون توقف .. تركضون حتى خط النهاية .. وفي أثناء ذلك لا تفكرون أبدًا في الأمور بشكل جيد، حماقتكم تفسد كل شئ، إنكم تعساء حمقى ومراهقون، تظلون طيلة شبابكم تركضون وراء الفتيات الجميلات، وعندما تحصلون عليهن تقعدون بقية حياتكم لتثرثرون عن أعبائهم الثقيلة .

تسببون الكوارث بسبب اندفاعاتكم الساذجة .. أنا أمقتكم كل المقت .. أنتم جزءًا من خراب هذه الدولة .

- حسنا .. أنتم الضحيه، لكوننا خلقنا في زمانكم

تراجع آدم خطوة للوراء وأكمل بلهجه تهديدية :

- عليكم اللعنة أيها الشياطين، لسوف تحترقون جميعًا بنار هؤلاء الشباب، أنت تثرثر دون فقه أي شيئ بشكل جلي، وعليك الحذر من هؤلاء الشباب أيها العجوز الأخرق

- لقد قلت لك أنني لا أكترث لك على الإطلاق، لماذا تصر على انتشالي من هدوئي .. إنهم رعاع الوطن، أراك تحذرني من مجموعة جرذان ينامون في الوحل، إنهم لا يعرفون كيف ولماذا يعيشون، لا يستطيعون التفكير في النهوض من على الأريكه الباليه التي تحمل قذاراتهم، أنا لا ألتمس فيهم سوى القبح، اشمئز منهم بطريقه فجة، إن نسلهم هزيل وأملهم ضائع في هذه الحياة برغم أنهم مازالوا فتيان لا يتعدون الثلاثين .

صدقني يا بني إنهم ضحية كسلهم وفراغهم القاتل، أنا أقول لك الحقيقة التي تختبئ عنك .. قل لي، لماذا قتل هتلر اليهود ؟ ولماذا فكر في أن يقتل كل شخص يحمل نسل الفساد بداخله، لقد كان محقا، يجب أن نتخلص من كل هؤلاء .. من كل الذين يسكنون الأرض دون فائدة، لأجل المنفعه العامه ليس إلا .

اندهش آدم من شطحات والده العفوية وغريزته العمياء لم يكن يعلم أبدًا أن نزوات النفس البشريه سوف

تفوق حياة الآخرين، إن نزوات هؤلاء هي الداء الوبيل المتسبب في كل هذا الضياع، إنها السبب في الحروب العالميه والمجازر التي حدثت في كل القرون، لقد قرأ عن مذهب بوذا التقشفي .. إن البشر يحترقون بنار الشهوه، والغضب، والجهل، والألم، والبؤس، والشقاء، والحزن .

إن البشر يعيشون حياه اليأس من لحظة الميلاد حتى ساعة الممات، لقد قرأ آدم كثيرا في كل شئ وليس من الجلي أن تسيطر عليه هذه القذاره التي يتحدث عنها والده، ثم من قال أن هتلر فعل هكذا .

تراجع بضع خطوات فاصطدم بوالدته القادمة من الخلف، استدار فجأه فرأى وجهها الممتقع الذي يصطنع كل شئ، شفتان صناعيتان وعينان كذلك، حتى أنفها كان يتدلى ناحية فمها، يبدو أن صنايعي التشطيب لم يجد وقتا كافيا لظبط زاوية الأنف المتدلي كشفتي إسماعيل ياسين وهو يبكي إنها امرأة ذات طراز روسي عتيق .. تتحدث لغات عده منها الفرنسيه، وجلدها يعاني من كثرة الشد والترقيع، إنها مقززة حقا وأظن أن مختار النجار يتركها ليلا وينام هنا في حجرة المكتب .

- مرحبا يا أمي

قالها فانفجرت حانقة تصب غضبها على زوجها :

- إنــه لا يختلــف عــن أولاد الشــوارع في شــيئ، يرتــدي ملابــس قــذرة ويناديــني بأمــي .. هــلا طــردت هــذا الفاســق مــن هنــا .

- حســنا يــا مامــا، أظــن أن مامــا غــير لائقــة أيضًــا، فــماذا أقــول إذًا ؟

انتظــر آدم للحظــات يفكــر في إجابــة أخــرى فاندلعــت الفكــره في رأســه، ابتســم في وجههــا ابتســامة ســخريه وهتــف قائــلا :

حســنا يــا أمــي، إن أنفــك أوشــك عــلى الالتصــاق بفمــك.. أرجــوك .. هــذا مقــزز .. ولا يليــق بالطبــع بحيــاة الأمــراء والملــوك .

قالهــا وتحــرك مسرعًــا إلى الخــارج مغــادرًا المــكان .. دون أن يكــترث بقذائــف الشــتائم التــي أطلقتهــا والدتــه .

***

محمـود سـامح البنهـاوي الرجـل الـذي عـاش يبحـث عـن وصـفٍ يليـق بـه، إن الـتراث الفكـري الـذي يكمـن في قوقعتـه يشـوش عـلى مسـتقبله حقـا، القـراءة بالنسـبة لـه هـي توضيـح للأمـور التـي لا يفهمهـا عـلى الإطـلاق، ومـع ذلـك لم يفهـم البتـه لمـاذا ترفـض نشـوى دعوتـه إلى المنـزل، يبـدو أن كل نواياه قـد افتضحـت مسـبقا وارتسـمت عـلى وجهـه المخيـف.

في الليلـة الماضيـة كان يفكـر في كيفيـة الفتـك بنشـوى لقـد اكتملـت لـه أركان القضيـة « قضيـة المـرأة »، إنهـا مجـرد فصـل في روايـة يقرأهـا، فصـل يحكـي عـن قصـة اغتصـاب تـروي ظمـأ القـارئ .. وعندمـا تتعـدى لحظـة الشـبق ينتهـي كل شـيء، ويختتـم الكاتـب قصتـه عـن المـرأه، وبعدهـا ينهـي الأحـداث تفصيـلا بدونهـا .

لقـد تسـلل محمـود خفيـة إلى شـقة الاجتماعـات فوجـد نشـوى تنتظـره هنـاك والارتبـاك بـادئ عليهـا « محمـود سـامح البنهـاوي كان يظـن ذلـك طبعـا » .

- دعينا نتحد .. لنصبح جسدًا واحدًا .

كانت نظراته توحي بكل شيئ حقا .. لقد كان يشبه رجل الكهف العاري .. ذو الرائحة النتنة .

«نشوى كانت ترى ذلك بالطبع«

محمود سامح البنهاوي اتبع نزواته الإنسانية في القراءة وكوّن فكرة لا بأس بها عن نشوى، يريد أن ينتهك البراءة والطهر .. يريد أن يمزق القميص الوردي ذات النهدين المطلين للسماء الزرقاء الحانية .

« نشوى كانت ترى ذلك بالطبع«

– دعينا نمزق كل القوانين، لا يوجد عرف أسمى وأنقى من الحب .. « نحن من نصنع القوانين يا نشوى « .

محمود سامح البنهاوي يتصبب العرق من كل مسام جسده اللزج، خمس دقائق كانت كفيله بجعله أشبه بأقدام الجرذان التي تتسلل بين فجوات الزرع ببطونها المخاطية في الغابات .

«نشوى كانت ترى ذلك بالطبع«

– دعينا نلتحم .. دعينا نضع كل الأشياء في أماكنها الصحيحة، أنت نشوتي الحقيقية يا نشوى .

انتصبت نشوى في جلستها وهي مذعورة من هيئة محمود سامح البنهاوي وبعدها قالت :

- أنت أشبه بحيوان ويريد قضاء حاجته في أي مكان يرفع فيه قدماه .

همت على الوقوف لتغادر فعارض طريقها، حاول أن يمسك بقميصها فكان له ذلك .. وبعدها مزقه إلى نصفين، صفعته بقبضتها وركضت ناحية الرف الذي يحمل الكتب، كانت تبحث عن شيئ ما تعلم مكانه جيدًا، وجدت السكين أعلى الرف .. تناولته والتفت لتهدده فوجدته ملتصقًا بها برائحته اللزجة، حاولت الهرب ولكن لا جدوى من قبضته الحديدية فوضعت السكين في أمعائه القذرة .

تراجعت للخلف وهي تراه يرقد علي ركبتيه يستجدي أن تفعل شيئا لإنقاذه، كان يمد يده للأمام في محاولة خرقاء ليحثها على البقاء بعد أن رآها تهرول للهروب من المكان .

محمود سامح البنهاوي فقد حياته جراء نزواته القذرة

كان يبحث عن وصفٍ يليق به ولكنه لم يجد، فقد ضاع التلاؤم بينه وبين الطبيعة، كانت ليلة قاسية البرودة عندما وقف أمام صورة له على الحائط .. كان مُغيبًا تمامًا سكيرا يترنح أمام الصوره المُعلقة .. صاح عاليًا فأصغت له الطبيعة جيدا

«كان يتحدث مع الصوره المعلقة بالطبع» .

– سوف أخبرك سرا خطيرا .. إن التاريخ لا يصنعه سوى الفاسدون .

وبعدها سقط أرضا يفكر في طريقة ما ليصير فاسدا، فظل يرسم خطته المبهمة للفتك بنشوى .

الشمس هي القرص المنير الساخن الذي يبعث لنا الدفئ في ليالي الشتاء القاسية البرودة الجافية، كان محمود سامح البنهاوي في تلك الليله يشعر بالبرد حقا، تمنى لو تأتيه الشمس نفسها (نشوى) لتحتضن ضلوعه التي تتسكع عارية في غرفته، ولكن لا أحد يقدر على العبث بالقوانين الميتافيزيقيه للطبيعة .. الإنسان عندما يحتاج لشئ يفتقده لا يجده أبدا .

لقد تمنعت الشمس عن الظهور ليلا لتدفئة ضلوعه التي تصطك مرتجفة، ناهيك عن أن الشمس لا تظهر أبدا في الليل « إلا في دول أخرى بالطبع »، إنها أمزوحة من الوهم يصنعها العقل لشدة هذيانه من مرض ما، لقد تبعثرت دماء محمود سامح البنهاوي في الشقة المتصفة بمدينتهم الفاضلة

إنه يتكوم الآن أرضًا غريقا في دمائه اللزجة، لا أعلم كيف سينتشلوا جسده المسجى أرضًا من المدينة الفاضلة خاصتهم كان يُلقي بالكلمات الفاضلة من فمه العفن اللزج فتصطدم بأمواج البحر النقية الطاهرة، فتختلط الدناءة والرجس مع الطهاره وسمو الروح، وعندما يأتي الليل ينخر السوس في جسده البالي بالخطيئه والجريمه فتدلي به إلى القاع الذي يسمى بالجحيم، ولكنها الأرض التي تلوثت بالدماء والخطيئة .. الأرض التي لفظت محمود سامح البنهاوي خارجها، هي نفسها التي لفظت اليهود بجوار حصن بابل عند بحيرة « ليمان »، فنشروا الرجس ودنسوا الأرض الطاهرة فكثر الدين وأصبح هائلا على عواتقنا .. إنه انتقام الأرض المدنسة بالدماء ليس إلا .

إن معظم مسرحيات شكسبير كانت لها نهايات ملحمية بشعة كان يتحدث عن أرض الحروب والدمار وكيف أثر هذا على الحب النقي الطاهر .

كلما مرت جيوش اليهود في أرض ما دنستها ونشرت الرجس فيها .. وتركت الانطباع الأبدي المعروف بأن القوي لا بد من اغتصاب الضعيف .

يا مدينتنا الفاضلة هلمي واندثري تحت الركام .. ولا نريد مكانا ندفن فيه رفاتنا حينما تحترقين، فإن الدين أصبح هائلا على كواهلنا .. والبشريه وحدها هي من تدفع هذا الدين .



في المناطـق النائيـة كثـرت حـالات الاغتصـاب الجنسي تحت أثـر المخـدر الـذي يقودهـم إلى الوهـم، هنـاك أمـوات يمشـون عـلى الأرض وهـم أحيـاء .. وهنـاك أطفـال يجدونهـا ملقـاةً عند أكـوام القمامـة لا يعلمـون آباؤهم، أطفـال عمرها يومـين أو أكثر قـد أتـت في لحظـة انتشـاء في ظلمـة الحانـات الليليـة، ناهيك عن أنهـم هـم الأطفـال نفسـها التـي تُسـتخدم في تجـارة الأعضـاء .

لـن يشرعـوا حتـى في الفـض مـن هـذا .. ولا أحـد يعلـم مـدى الإهانـة التـي بلغتهـا المـرأة في هـذه الطبقـة المطحونـة، فهـي كيـان لا وزن ولا قيمـة لـه، إن حيـاة هـذه المناطـق لا ترمـز إلى مسـتقبل مـشرق أبـدًا .. في حـين أن هـؤلاء القـوم يعيشـون في هـذا الجـدب والعقـم والفقـر والمـرض والوهـن والضيـاع هنـاك نسـاء لجـأنّ إلى إجهـاض النطفـة التـي زرعـت عـن طريـق الزنـا، وهنـاك أمهـات حقيقيـات أجهضـن مـن شـدة مرضهـن ووهنهـن .. هـي أدركـت إن إنجـاب الأطفـال في هـذه البيئـة لا تعنـي العـزوة والكثـرة والخصوبـة، وإنـما تعني مزيـدا مـن الفقـراء البائسـين الضائعـين .

منـذ آخـر عمليـة زحـف قامـوا بهـا وهـم هادئـون تمامـا، لقـد ظفـروا بكميـة ميـاه لا بـأس بهـا .. تكفيهـم أسـبوعًا واحـدًا عـلى الأقـل .

آدم يتذكـر جيـدًا الاسـم الـذي سـمعه مـن الرجـل المقتـول في آخـر عمليـة زحـف، لقـد هـرول مسرعـا نحـو مسـقط ومسـكن رأس الغـول، اجتـاز السـاحة المتاخمـة للمسـجد وبعدهـا عـبر الشـارع الرئيـسي متوغـلا أكثـر ناحيـة الداخـل .

هنـاك شـخص آخـر يبحـث عـن رأس الغـول وقد سـبقه إلى هنـاك، آدم كان يتحسـس درجـات السـلم في الظـلام الدامـس هنـاك نـور خافـت قـادم مـن الأعـلى .. رويـدًا رويـدًا النـور يقـترب كلـما عـلا بخطواتـه .

في الطابـق الأول كانـت شـقه واحـده وبابهـا مواربـا، حبـس أنفاسـه عنـد سـماعه همهـمات قادمـه مـن الداخـل فتقـدم يمـشي

كالمهـرج عـلى أطـراف قدمـاه، هنـاك صالـة ضيقـة شـبه فارغـة مـن الأثـاث تتصـل بها طرقـه صغـيره تـؤدي إلى غرفتين، اجتـاز آدم الصالـة وبعدهـا الطرقـة في ظـل النـور الخافـت التـي يرسـم ملامـح الشـقة، سـمع تهديـدات قادمـة مـن الغرفـة الأولى فوقـف مندهشـا .. لقـد سـمع هـذا الصـوت مـن قبـل، توغـل أكثـر ناحيـة الغرفـة الأولى حتـى طـل برأسـه بحـذر فـرأى رجـلا مقيـدا بالأوصـاد .. يبـدو أنـه «رأس الغـول»

لأن الرجل الضخم حليق الرأس الذي يحمل مسدسًا هو نفسه الرجل الذي قتل شخصًا من المناطق النائية أثناء عملية الزحف الأخيرة، الرجل المقيد كان عريض المنكبين قوي البنيه ذو شعر أكرت وذقن نصف نامية، عيناه واسعتان وحاجباه لهما شرخان من ناحية اليمين، وأنفه ذات فتحتان عريضتان كأن حبلا يشدهما لأعلى .

يبدو أن رأس الغول قد قاوم كثيرا .. إن عينيه المتورمتين وجبهته المليئة بالدماء تدلان على ذلك، على ما يبدو أيضا

أن هذا الرجل القوي قد كُلف بالعمليات الخاصة، إن ملامحه تتسم بالصرامة الشديدة وجسده بالبنيان القوي، علت التهديدات وارتفعت الوتيرة ودوي صوت الرصاصة المفزع وهي تخترق الجمجمة، إن هذا المارينز المحترف متخصص في تهشيم الجماجم البشرية .

تراجع آدم مسرعا واندس في الغرفة الثانية حتى لا تكون جمجمته هي الضحية القادمة، رأس الغول كان جثة هامدة بعد أن اخترقت الرصاصة جمجمته، رأس الغول كان يمتلك مظهرا لائقا عند مختار النجار ولكن جوهره المليئ

بالتمـرد كان يُظهـره وسـط هـؤلاء الوحـوش، لكـن مختـار النجـار لم يجـد صعوبـه في معرفـة مـن وراء عمليـات الزحـف المتتاليـة الأخـيرة، رفـع الرجـل القـوي الهاتـف ناحيـة أذنـه وأخـبر المتحـدث « أن كل شـيئ عـلى مـا يـرام «، ورأس الغـول الآن في موقـف لا يُحسـد عليـه أبـداً .

خرج رجل المارينز هذا من الشقة متسللا بعد أن وضع

مسدسـه اللعـين أسـفل ظهـره، أمـا آدم فـكان يتحسـس خطواتـه مسرعـا ناحيـة الصـوت المفـزع الـذي كان قبـل قليـل .. فوجـد رأس الغـول صريعًـا كحيـوان افترسـه ملـك الغابـة .

إن الإنسـانية لم ترحـم أي نسـل كان .. ورأس الغـول كان مصنفـا ضمـن الذيـن تغلبـت عليهـم وحوشـهم الغافيـة، إن في داخـل كل منـا وحـش يختبـئ بـين الأحشـاء، ورأس الغـول قـد اغتصـب أفـكار هـؤلاء الواهنـين الضعفـاء وبـث السـم في خلاياهـم، فـكان يسـتحق أن يسـحق عـلى يـد الإنسـانية نفسـها بـل كان يسـتحق أكثـر مـن ذلـك .

فـرّ آدم بعينـين متسـعتين مشـدوهتين يملأهمـا الرعـب، كان يركـض تـاركا خلفـه منـزل رأس الغـول آخـر ضحايـا والـده،

يريـد أن يمحـي مختـار النجـار مـن ذاكرتـه إلى الأبـد، ولكـن هيهـات أيهـا الأخـرق .. عليـك أن تخـرج مـن هنـا أولا .

لقـد رآه أحـد وحـوش المنطقـة يركـض فزعًـا قادمًـا مـن ناحيـة منـزل رأس الغـول فاعـترض طريقـه، لقـد تناولـه الرجـل مـن تلابيبـه وظـل يطـوح بـه في كل الاتجاهـات تقريبًـا حتـى يخمـد ثورتـه .

هنـاك أحدهـم يصيـح مـن بعيـد .. مـن أمـام منـزل رأس الغـول :

– لقد قتل رأس الغول .. واكارثتاه !!

الجميـع يركـض ناحيـة المنـزل والرجـل الـذي أمسـك بـآدم: يخـرج الآلـة الحـادة مـن بـين طيـات ملابسـه، إنهـا الـشرارة التـي ستشـعل الثـورة مجـددا وعـلى سـكان المـدن الجديـده أن ينتظـروا الزحـف الأعظـم .

صـاح نفـس الرجـل ولكـن هـذه المـره كان الصـوت متحشرجـا أثـر دمـوع الحـزن عـلى الفقيـد :

- لقد قتلوه .. سكان المدن الجديدة أرسلوا أحدهم لقتله .

من يقتل صرصار الحقل هذا، إن الرجل الذي يمسك بتلابيب آدم قد سمع هذا الصرصار جيدًا، إن القاتل بين يديه الآن، إنها الفرصه في أن تكون «رأس الغول«

القادم .. الأمر لا يحتاج إلى تفكير .. اقتل هذا الوغد من المدن الجديدة وقل إنك قد أخذت بثأر «رأس الغول«

وسوف تحظى باهتمام مبالغ فيه .. لا شك في هذا .

أخرج الرجل الآلة الحادة من بين طيات ملابسه في نفس الوقت الذي يركض فيه الجميع ناحية الرجل الصرصار.

آدم كان يعلم جيدا أن هؤلاء الوحوش ضعفاء جدًا.. ولا شك أن الرجل تحت تأثير المخدر والتخلص منه يحتاج إلى ذكاء لا أكثر .

حاول أن يتملص من قبضته أثناء إخراجه للآلة الحادة .. حرر يده اليمنى وكور قبضته جيدا ثم هوى بها فاستقرت أسفل قصبته الهوائية، اختل توازن الرجل فسقطت الآلة الحادة أرضًا، تناولها آدم في لحظة مباغتة وبعدها أودعها بين أحشائه .

فرّ مجددا ناحية المسجد والساحة المتاخمة له بالخارج، قطع الشارع الرئيسي ركضًا دون أن يكترث له أحد، إن خبر وفاة «رأس الغول» هو شغلهم الشاغل والجميع يركض ناحية منزله .

أشعل محرك سيارته بيدان مرتعشتان .. وانطلق، فعلت أصوات الإطارات وهي تلعق الأرض لعقا .

***

مدينة مورفيوس

إننا مرهقون جدا قد عصفت الذكريات بنا، كلما استيقظنا اكتشفنا أنها نفسها الأرض التي حدث عليها كل شيئ قديما، الخطوات المنبثقه وهي تحفر آثارها على التراب تبعثر معها الذكريات، هناك ماكينات عملاقة تسطر على الأوراق البيضاء كل شيئ يحدث، أصابع متورمة تضغط بملل على حروف الآلة الكاتبة لتسجل التاريخ المذكور أمامها، في يوم شاق من العمل تريد الأصابع نفسها أن تستريح، ولكن هناك مجزرة لم يتم تسجيلها بعد «إنها مجزرة اللُّد» .

حسنا، قسط من الراحة وبعدها نكمل كل شيئ، الأصابع منهكة حقا وقد نفذت الأوراق .. لكن الجرح لم يندمل، والأصابع تعود لمهمتها الأبدية لتسجل « مذبحة سربرنيتسا»

الأرض والأوراق يسجلان كل شيئ حدث، ونحن لا نجد مفرًا من الذكريات .

في الصفحه الأولى من كل الجرائد اليوميه يتسابق رأس الغول لأخذ حيز ملائم يحدث ضجة في البلاد، صورة له وهو مقيد والرصاصه خترق جمجمته .. ناهيك عن وجهه الدموي المخيف .. صورة مفزعة حقا، وعنوان

بالخط الأحمر العريض «مقتل رأس الغول (الرجل الأفعى) وانتهاء الزحف إلى الأبد« .

في غرفة الاجتماعات في مبنى المخابرات المصريه قد أسدل الستار، هناك فانوس عرض يخرج منه شعاع ضوئي ناحية شاشه تعرض شيئا ما، يقف عبد القادر أمام الشاشه ليعرض فيديو لأحد سكان المناطق النائية.

عبد القادر كان قائد الحمله التي شنت مؤخرا على إحدى هذه المناطق، لقد شكر الله كثيرا أنه نجا باعجوبة .

طلب من العامل أن يعيد الفيديو مرة أخرى، الفيديو يظهر التحول المفزع في سلوكيات سكان هذه المناطق، إحدى كاميرات المراقبة قد التقطت مقطعا مصورا لجريمه بشعة حدثت أثناء آخر زحف قاموا به، أحد وحوش الزومبي كما يطلق عليهم ينقض على فتاة من سكان المدن الجديدة، الفتاة تستلقي أرضًا بالطبع بعد أن فقدت الوعي.. فيُخرج هذا الزومبي القذر آلته الحاده ويغرسها في أحشاء الفتاة .. ثم يبدأ في تكوير الجزء السفلي للبطن وبعدها يحاول جاهدا في إخراج الأحشـ......

لقـد توقفـت الإضـاءه فجـأة بعـد أن طلـب عبـد القـادر من العامـل أن يغلـق كل شـيئ، الأمـر برمتـه أصبـح كارثـة حقيقيـة لذلـك كانـوا يجتمعـون في غرفـة مظلمـة تعطيـك انطباعًـا مهمًا .

لا توجـد حلـول بالطبـع لهـذه الكارثـة ولكـن عليـك أن تهتـم بالأمـر قليـلا .

قال عبد القادر في نفاذ صبر :

- اللعنـه عـلى هـؤلاء الصحفيـين .. مـن قـال أن الزحـف سـينتهي إلى الأبـد .

قـرأ باقـي المقـال عـن رأس الغـول بعدمـا أنـار العامـل إضـاءة الغرفـه مـرة أخـرى، انتهـى وألقـى الجريـدة بإهمـال عـلى سـطح المكتـب، ظـل يفكـر وهـو يراقـب سـحابات الدخـان الصاعـدة إلى سـقف الغرفـه وبعدهـا تتبخـر، تـذوب مـع الهـواء فـلا يوجـد لهـا أثـر .

إن أجهـزة الدولـة كلهـا تضـع الأمـر عـلى عاتقـه، وهـذا مـا يزيـد الأمـر صعوبـة، في الليـل يلعـن نفسـه لأنـه تـورط في ملـف يحمـل قضيـة كهـذه لا يوجـد لهـا حـل عـلى الإطـلاق، المزيـد مـن سـحابات الدخـان ولا جـدوى مـن الصمت مجـددا .

نظر إلى الوجوه المصمته يبحث بينهم على فكرة واحدة تخلصه من هذا المأزق، لكنه شعر بخطورة الأمر على وجوههم فقال :

- من كان يظن من قوم هتلر أنه سيمت في يوم من الأيام

لقد بحث عبد القادر كثيرا بين سحابات الدخان فلم يجد شيئا حقا ليفسر به هذه الظاهرة، تحمحم وعاد يكرر قائلا :

- من كان يظن من قوم هتلر أنه سيمت في يوم من الأيام

ولكن .. أقصد أن هذا كان ضروريًا لتجديد الحياة واستمرارها، أعلم أنكم لن تفهمون ما أقصد، يجب عليّ أن أتحدث بطريقة مباشرة، بطريقة أكثر وضوحًا .

عبد القادر كان يحب الفلسفه حبًا جمًا .. فهي من تقوم عليها أسس الحياه، ولكن لا وقت لهذه الترهات .

عاد إلى مجرى الحديث وقال في توتر :

– علينـا إبـادة هـؤلاء الوحـوش واقتـلاع الجـذور قبـل أن تتثبـت بقـوة .. أحيانًـا تصعـب علينـا فكـرة القتـل .. بـل يصعـب تصديقهـا مـن الأسـاس، ولكنهـا ضرورة حتميـة للخـلاص مـن كل هـذا .

قال أحدهم فجأة :

– هـل سـتكرر نفس الخطـه القديمـة، ونخـسر أرواحًا أخرى من قواتنا .

– بالطبـع لا، إن قوتهـم الحقيقيـة تكمـن في اختبائهـم عنـد مناطقهـم، علينـا الانتظـار فـور خروجهـم مـن معقلهـم وبعدهـا ...

قاطعه آخر :

– وكيف هذا ؟

– إن مقتـل رأس الغـول لـن يمـر مـرور الكـرام، بالتأكيـد سـيزحفون للانتقـام .. فعلينـا الانتظـار .

***

البركان صار مهيئًا للانفجار، يمكنك أن ترى حشد غفير من وحوش الزومبي يتسللون ناحية المدن الجديدة، العدد في تزايد والعواء يتعالى فيحدث في الأرجاء صخبًا شديدًا تشيب له الروؤس .

هناك أسطورة هندية معروفة تقول إن النجوم كانت في يوم من الأيام بشرا .. أظن أن السماء ستكون في أبهى حِله لها الليلة، يسير الحشد ببطء تواكب الخطوات بعضها بعضا في مشهد يرتجف له القلب، الأحياء النائية فارغة تمامًا فملئتها الجرذان بصوتها المألوف، وقد خرج النساء والأطفال يلهثون وراء الرجال، إلاَّ أن جميعهم وحوش .

لا أعلم من أين جاءت هذه الغربان التي تنعق لحدوث كارثة أو لانفجار بركان ما .. المهم أنها تنعق لأجل شيئ ما .

في الناحيه الأخرى بداخل القبو نجد عملية الهروب باتت وشيكة، عبد الرحمان يستلقي أرضًا ويصرخ كالنساء، باب القبو أصدر صريرا عاليًا ودخل أحد الحراس، بانت الرؤيا وارتسمت الملامح أكثر فانقض رفعت على الحارس فتكوم أرضا، انتشل كمال العصا الحديدية من الحارس وراح يعجن بها رأسه حتى استكان أرضًا وهو فاقد للوعي .

عبروا باب القبو فدلفوا إلى ممر نصف معتم آخره درج يؤدي إلى البوابة الخارجية .

همس كمال قائلا :

- أين الحارس الآخر .. إنهم حارسان

صعدوا الدرج ودفعوا البوابة فاستجابت بصوت صريرها المرتفع، قفز رفعت خارجًا ثم قال وهو يستنشق الهواء الطلق :

- أظنه يقضي حاجته

إن القمر كان دائريًا .. متوهجًا .. نحاسيًا .. أظن أن هذه

دلالة مؤكدة على اكتماله، هناك حشد غفير يمشي ناحيتهم ببطء، يدك الأرض دكا فانقبضت قلوبهم .

صرخ كمال في فزع قائلا :

- ما هذا ؟ أرجوكم لا تقولوا لي إنه يوم البعث، أيعقل أن نكون قد متنا منذ زمن ؟

رفع رفعت الفار عيناه تجاه السماء وراقب النجوم ،

رنا بعينيه تجاه القمر وقال :

- كنت أظن أنني لن أرى هذه اللوحة مجددًا

باغتتـه سـعلة مفاجئـة فتخلـص منهـا بشـهيق قـوي تنفسـه مـن الهـواء النقـي، لحظـات مـن الوجـوم ناحيـة الحشـد الـذي يقـترب نحوهـم فقـال حالمًـا :

- يبدو أنه يوم الثورة

اقـترب الحشـد أكثـر فارتسـمت ملامحهـم تحـت ضـوء القمـر، عواؤهـم صـار مسـموعا فصـاح رفعـت مجـددًا :

- إنهم يشبهوننا كثيرا .. فلننضم إليهم يا رفاق

صـاح عبـد الرحمـان قائلا وهـو يراقب الحشـد القـادم نحوه :

- إلى أين ؟

- لنقتل مختار النجار

قالهـا رفعـت وهـو ينضـم للحشـد الغفـير وقـد ارتسـمت عـلى شـفتيه ضحـكات خبيثـة تتابعهـا سـعلات تـزداد كلـما علـت الأتربـه فـوق رؤوسـهم .

***

سيكون صدامًا عنيفا لو التحم هذا الحشد من الوحوش بأناس عاديون، على الشرطه أن تدرك الأمر قبل أن يتخطوا السياج الشوكي للمدن الجديده فتصبح بركة من الأحشاء، صوتهم يتعالى ناحية السماء واسم « رأس الغول» يتردد في الجنبات، هناك صوت محركات قويه يقترب من هذا الجمع المفزع الذي يحاول عبور السياج الشوكي . انهم الآن خلف المدن الجديده واصبح عبورها أمرا وشيكا، لقد ظهرت أول هيليكوبتر تحلق فوق رؤسهم، هناك رجل ضخم يطل برأسه من نافذة الطائرة قد بدأ يبعثر الرصاص في الأرجاء، هناك طائرة أخرى قادمة ورجل ضخم أيضًا يطلق الرصاص من فوهة الرشاش بينما يتساقط هؤلاء الوحوش دون أدنى مقاومة .

الأطفال تعوي بنغماتها المزعجة والنساء ينحبن على من سقط قتيلا، فوج من الهيليكوبتر انضم للمعركه ليستمر القتل الجماعي، هناك عدد لا بأس به استطاع عبور السياج وانتشر داخل المدينة .

آدم كان يجوب شوارع المدينه وبجواره آسيا، لقد دهس أحد الوحوش دهسا متعمدا فصرخت الفتاة في فزع،

اقـترب مـن البوابـه الرئيسـية للمدينـه بالسـيارة فوجـد أفـراد الأمـن جميعهـم قتـلى، قبـل أن يعـبر البوابـة وجـد مجموعـة مـن سـكان الأحيـاء النائيـة يلتفـون حـول فتـاة، تكومـت الفتـاه أرضـا بعدمـا انغرسـت الآلـة الحـادة داخـل أحشـاؤها وبعدهـا بـدأو في عمليـة التكويـر .

أثناء عبورهما البوابة صرخت آسيا من أثر الصدمة :

- نشوى !!

عادت تصرخ وتكرر فلم يصغي لها آدم على الإطلاق ،

التفتـت إلى الـوراء تراقـب المشـهد بملامـح مروعـة بينـما السـيارة تبتعـد .

قالت في مراره :

- لقد قتلوا نشوى .. الوحوش فتكوا بها .. تبًا !!

حـاصرت القـوات الخاصـه ورجـال الشرطـه المدينـه بأكملهـا في محاولـه للتخلـص مـن هـذا الوبـال المعـدي، سـاعه واحـدة كانـت كفيلـة بتحويـل المدينـة إلى بركـة مـن الأحشـاء الجاهـزه للقـلي .

لقد زحف عدد لا بأس به الي داخل المدينه بعد أن فروا من طائرات الهيليكربتر التي تلاحقهم، إن الفساد لا يلد سوى الفساد، والجريمه لا تؤدي إلاَّ إلى أبشع منها، والدين الهائل على كواهلنا سوف يستمر ، الأرض التي نلوثها بالدماء ليس ملك لنا وحدنا، يمكننا اخلاء هذه المدينه الكامله من سكانها، ولسوف تظهر الجرذان من تحت الركام ومن بين الشقوق .. لتجوب المدينة وتسكنها إلى الأبد، هناك من يتمنى حياه على هذه الأرض كالحياة التي يعيشها الإنسان، ولن يلوثها بالدماء أبدًا كما نفعل نحن .

رفعت وكمال وعبد الرحمان يركضون ناحية الساحة الواسعة أمام مجموعة شركات «مختار النجار«

حراس المارينز ينتشرون في كل مكان أمام الشركه حتى صعد مختار النجار إلى الهيليكوبتر الخاصة به، ثلاثتهم كانوا يلهثون كالكلاب بأفواه مواربة بينما ترتفع الطائرة إلى الأعلى، مختار النجار ينفث دخانه من النافذة ويعطي إشارة لحراس المارينز فيطلقون الرصاص ناحية الثلاثة رجال .

يسقط ثلاثتهم أرضًا وهم يتجرعون من الأرض البقاء

والهيليكوبتر تختفي وسط الظلام إلى الأبد .

***

في هـــذا المنـــاخ المأســـوي الزاخـــر بـــكل مظاهـــر العقـــم والجـــدب والضجـــر واليـــأس والجفـــاف والانهيـــار والتحلـــل والضيـــاع .. قـــال آدم لآســـيا :

– لمـــاذا لا نبتعـــد عـــن كل هـــذا، عـــن هـــذه الأرض المشـــققة فتتســـاقط النـــاس في شروخهـــا، إن الـــشرخ مـــا زال ضيقـــا

ولكنـــه لا زال يتوانـــى عـــن الاتســـاع .. وهـــذه فرصـــه جيـــدة لنهـــرب بعيـــدا .

آســـيا كانـــت جميلـــة حقـــا .. حاجبـــان كثيفـــان يبثـــان فيـــك الدفـــئ والوطـــن، «هـــه» ابتســـمت آســـيا ابتســـامة شـــاحبة عندمـــا تذكـــرت آدم وهـــو يتقمـــص شـــخصية الأدبـــاء .. عندمـــا تحـــدث لهـــا عـــن حاجبيهـــا وكيـــف يـــرى فيهـــما الدفـــئ والوطـــن، زادت الابتســـامة الشـــاحبة عندمـــا رأتـــه يتأملهـــا بإهمـــال، آدم يريـــد الابتعـــاد ولكـــن ليـــس وحيـــدًا .

«فلنتـــزوج» الكلمـــه كانـــت ثقيلـــة، كلـــما تذكرتهـــا تســـللت إلى عقلهـــا ببطـــئ شـــديد، إننـــا جميعنـــا أنبيـــاء ولكـــن حتى يحـــين ميعاد الظفـــر، إننـــا نعيش عـــلى أرض ليســـت لها حـــدود، تحوّل كل شـــئ

فيها إلى عفن ممتزج برجس يجوب مناكب الأرض جميعها .

نظرت لأعلى من فتحة السيارة وسط ضوء القمر الشاحب الواهن والحزين ثم قالت واجمة :

- إلى أين ؟

قال لاهثا من فرط التفكير :

- إلى الفراغ .. حيث الهواء على شاطئ البحر .. هناك حياه جديده تنبعث من تلاطم الأمواج .. فلنشعر بالحرية .

- كيف تراني الآن ؟

- أراك الحياه .. أنت حياتي يا آسيا

- ولكن الحياة هي نفسها من تركتها خلفي منذ قليل، إنها مخيفة، بل ومظلمة .

- هناك دائمًا نجاة .. في مكان ما على وجه هذه الأرض

- لا أعتقد هذا يا آدم مختار النجار، لقد ماتت هذه الأرض منذ قديم الأزل وأماتت معها مئات المدن، والمدينه التي تركناها مليئه بالأشباح والأحشاء المقتلعه سوف

تصحو مجددا، ان الأرض تُدنَّس بأقدامنا المحمله بالرجس .. وتمتلئ بالدماء بعقولنا المحمله بالإنتقام، فلنعد إلى نشوى لنلملم رفاتها، هيا .. لنقيم واجب الدفن .

***

التواصل مع داركتاب

Email : darkitabone@gmail.com

fasbook : darkitabone

البدج داركتاب

٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨